روايات أحلام

كاترين فوكس

وعود إبليس

www.elromancia.com

مرمورية

روايات أحلام

وعود ابليس - كاترين فوكس

تلك الساعة الوحيدة مع برناردو نوللي، كانت أكثر من مزعجة لمايا كولين، وشعرت كما لم تشعر أبداً من قبل...

كلماته كانت تعود إليها ساخرة «جدتك ستكون فخورة بك وانت تحت وصايتها. ففي بضع سنوات ستصبح طبقة الجليد سميكة فوق جلدك ومشاعرك بحيث تصبحين لامعة كالماس.. ماسة جميلة متجمدة لا حياة في قلبها».

مايا كانت تعلم، أنها لن تستطيع المخاطرة برؤيته ثانية!

تصدر عن دار الفراشة

وعود ابليس ـ كاترين فوكس

تلك الساعة الوحيدة مع برناردو دونللي، كانت أكثر من مزعجة لمايا كولين، وشعرت كما لم تشعر أبداً من قبل...

كلماته كانت تعود إليها ساخرة «جدتك ستكون فخورة بك وأنت تحت وصايتها. ففي بضع سنوات، ستصبح طبقة الجليد سميكة فوق جلدك ومشاعرك بحيث تصبحين لامعة كالماس.. ماسة جميلة متجمدة لا حياة في قلبها».

مايا كانت تعلم، أنها لن تستطيع المخاطرة برؤيته ثانية!

www.elromancia.com

١ ـ اللعب مع الشيطان

تعالى صوت الموسيقى من تيراس النادي الريفي، ودندنت الفتاة الواقفة عند نافذة غرفة الألعاب، بصوت خافت، مع الأغنية التي يرقص على أنغامها الراقصون.

«الحب جميل من غير قُبل.. الحب جميل يا صديقي... أجل».

وطافت على شفتيها ابتسامة خفيفة، وتسللت إلى عينيها نظرة حزينة. فما من أغنية أخرى قد تناسب مزاجها الحالي، وكأنما الفرقة الموسيقية تعزفها لها وحدها.

باد دينغول، كان جميل المظهر، سليل أسرة معروفة، وعرابتها موافقة عليه، رغم أن مايا كانت تعلم منذ البداية أنها لا تحبه. ولكن الخطوبة تمت، كما تتم عادة في عائلات باسادينا الرئيسية. وفقاً للتقاليد الاجتماعية ولضغط الأهل، دون أن يتم فرضها، ولكن بطريقة سلسلة تشبه تأثير سحر القمر، إلى أن وجد الشاب نفسه يقدّم

الخاتم، ووجدت الفتاة نفسها تقبل به، مثل هذه الارتباطات لها سحرها الخاص.. ولكن أين الحب في هذا؟ أين تصادم الشخصيات والطباع، المثير؟

ومع ذلك فهي مدينة لغلوريا آرثر بالكثير. فعرّابتها تولت رعايتها منذ أن كانت طفلة، بعد أن أفلس موريس كولين وانتشرت شائعات محمومة عن عملية احتيال، وخلال السنوات التالية، عاش والدها موريس في كوخ متداعٍ في ماليبو، إلى أن اختفى يوماً، وساد الظن أنه أغرق نفسه في البحر مع كل مشاكله. وأصبحت مايا تحت وصاية غلوريا قانونياً، والتي تولّت كامل المسؤولية عنها، وربّتها وكأنها ابنة حقيقية لها، وصرفت على تعليمها في مدارس عالية التكاليف، غارزة في ذهنها أن موريس كان شخصاً سيئاً، دفع زوجته قبل أوانها إلى القبر. ثم ورط نفسه مع محتالين قادوه في النهاية إلى طريق السجن، لو لم تدفع غلوريا للدفاع عنه لأفضل محامي كاليفورنيا.

ولم تستطع مايا أبداً أن تفهم لماذا كانت عرّابتها تكره موريس، فهل كانت تأمل يوماً في أن تتزوجه؟ ولكن الواقع أن غلوريا كانت تذكّر مايا دائماً بأنها مدينة بالفعل لها، ويجب أن تظل عارفة بالجميل لتقديمها المنزل، والثياب الأنيقة والمستقبل الثابت الذي جعلها مقبولة لدى أهل باد دينغول كزوجة لابنهم.

غلوريا كانت قد زرعت في مايا إحساساً قوياً بالواجب، حتى أنها قبلت أن تصبح مخطوبة لباد لأن غلوريا أرادت ذلك. على كل، كان هذا القبول رد جميل ولو صغيراً نسبياً، للأمان والملاذ الجميل في المنزل الكائن في «ساتا نيتا»، والذي ظلت مايا تعتبره منزلها. لقد أحبت المكان بحديقته المليئة بأشجار الفاكهة واشجار عصافير الجنة.

كانت تتذكر دائماً مشاكل طفولتها المبكرة مع موريس، ثم الأمان

الفجائي للحياة في ساتانيتا. الشيء الوحيد الذي لا تزال تخاف منه، هو أن تعود غير آمنة من جديد.. الفكرة بحد ذاتها كانت كافية حتى ينتشر شعور جليدي في عمودها الفقري.

وتغيرت الموسيقى إلى لحن آخر، ولكن مايا لم تلاحظ هذا. ولسبب مجهول تماماً شعرت بمزاجها يتغير، بشعور فجائي بالتوتر وكأنها لم تعد لوحدها. ونظرت من فوق كتفها، ولكنها كانت الوحيدة في الغرفة، مع ضوء خفيف على سطح طاولة «البليارد» حيث تستقر عدة طابات ملونة.

وأعادت مايا انتباهها إلى الظلمة الخافتة وراء النافذة، وضاعت بأفكارها، عندما انعكس على الزجاج اللامع إلى جانبها وجه آخر. وأجفلت، لأنها لم تسمع وقع أقدام تعبر الغرفة، المغطاة بالسجاد، وشعرت وكأن شيئاً قد أمسك بقلبها وهي تحدق بالوجه المنعكس للرجل. عيناه، حتى عبر الزجاج، كانتا تنظران في عينيها بتركيز جعلها تضطرب، ولم تجد أمامها مجال للتخلص منها، وعندما استدارت مايا، كانتا أمامها أيضاً، وفيهما وميض لم تشاهده من قبل.

ولم يتكلم، ولا هي فعلت.. كان يشبه لوحة لنمر، بشرته سمراء وقاسية، وشارب أسود، وحاجبان مماثلان فوق عينين رماديتين لامعتين. في صمت هذه اللحظات الطويلة، كان انطباع مايا أن نحاتاً قد صنع ذلك الرجل ثم أوقفه في الهواء والشمس وأمام عدوانية الحياة وسمح لكل هذا بأن يكيّف وجهه ليصبح جذاباً بشكل خطر. كان منظره مخيفاً، ليس أنيقاً أبداً، ولكن لافتاً للانتباه.

- إنها لعبة لا تستطيعين أن تلعبيها لوحدك.

كان في صوته خشونة جذابة، لمست أعصابها وجعلتها تشعر بأنها مهدّدة. بماذا يا ترى شعرت بالضبط؟. هل شعرت بطاقة غريبة غريزية.. طاقة نمر عند حلول الظلام؟

- أية لعبة تتحدث عنها؟

ولم تجروء على أن تسأل نفسها ماذا كان يعني فعلاً، فهذا الغريب النحيل والشرير قليلاً، وجدها لوحدها، بينما كان الجميع يرقصون أو يجلسون في حديقة النادي. أين هو باد الفاتن عندما تكون بحاجة إليه؟ ربما يتحدث الآن عن لعبة البولو مع اصدقائه!

- قد أكون أتحدث عن أي شيء. أليس كذلك؟

ونظر حوله في غرفة الألعاب.

- هناك طاولة البلياردتلك التي لها الرف الممدود.. اختاري.

- هل تطلب مني اللعب؟

ونظرت إليه بعينيها الكهرمانيتي اللون في وجهها الهادىء وشعرها مضموم برباط معدني فضي.

- وهل ترغبين في اللعب؟ ربما ستجديني خصماً قد يمنحك دورة أو دورتين مثيرتين من اللعب.

- أنا لا ألعب البلياردد، ولا أعتقد أنك تهتم بلعبة «السكرابيل».

- كيف بدأت تعتقدين بي فوراً.. ولقد التقينا للتو؟ فإذا لم يكن الرقص قد شدّك فلا بد أنك قد أتيتي إلى هنا بحثاً عن شيء آخر بالصدفة أو عن تصميم.

- وهل تتصور أنني كنت أبحث عن رفقة؟ لقد أتيت إلى هنا كي أبتعد عن الضجيج والحديث.

- هذا جيد... إذاً أنت لست بمحبة لكثرة الكلام.

وتجولت عيناه على جسدها النحيل وفستانها الجميل الهادىء، إلى ذقنها وفمها الواسع، ووجهها المتحفظ. عندما تدفىء هذا الوجه ابتسامة يبدو مثيراً للمشاعر، ولكن مايا الآن لم تكن تبتسم، كانت تستعد لمغادرة الغرفة، إلا أنها كانت متضايقة من ملاحقة هذا الغريب لها. لم تكن قد شاهدت هذا الرجل من قبل في النادي، مع أن وجهه

كان يبدو مثيراً للذكريات، ولو فقط من وقاحة عينيه الساخرتين اللتين كانتا تلمعان أكثر بكثير من باقي وجهه المعتم. ولم تشك مايا أبداً بأنه غريب، ثم قالت ببرود، لأن شيئاً ما فيه لمس وتراً حساساً فيها.

- ومن أنت، ألست من خدم النادي؟

- لقد كنتي بحاجة لأن تقولي هذا.. هه؟ طوال الأمسية كنتي بحاجة إلى هدف لتنتقمي منه بسبب عدم رضاك عن الحياة.

- كيف تجرؤ على هذا القول؟..

ولمعت عيناها الصفراوين، وكانت على وشك أن تضربه، غريب عنها بالكامل يجرؤ أن يقول ما لا يجرؤ باد أن يقوله ولو مضى على زواجهما عشر سنوات.

- ومن تظن نفسك بحق الشيطان؟

- يا سيدتي الشابة العزيزة.. ألم تصيبي الهدف منذ قليل؟ أنا المسؤول عن ترتيبات غرفة الطعام في النادي، فأنا أقدّم المأكولات والمشروبات حتى ولو أنني لا أقدّمها بنفسي. وأنا الليلة هنا لأبحث بعض الأمور مع سكرتير النادي.. وكما لا بد تعرفين، مكتبه في نفس الطابق هنا، وقد لاحظت وجودك عندما مررت بالباب، تقفين لوحدك عند النافذة. وأنت مستغرقة بالتفكير، وصدمني عمق هذا التفكير لفتاة شابة مثلك. وبدا لي أنك بحاجة إلى التحدث مع شخص غريب، لأننا مع الغرباء نستطيع أحياناً أن نكون صريحين أكثر مما نكون مع المعارف، كأننا سفن تعبر في الليل، وهذا كمعظم هذه الأقوال المأثورة، فيه بعض الحقيقة.

كان يتحدث متعمداً، بصوت عميق كأنما يختبىء فيه حد شفرة، ونظرت إليه، كانت دقات قلبها ملموسة لها بحيث تصوّرت أنه يحس بها. وأحست بتوتر غير عادي يهاجمها ولم تستطع أن تنظر إليه.

- لقد كنت فظة معك.. كنت تائهة بأفكاري وأنت فاجأتني،

www.elromancia.com

ولكني أؤكد لك أني لست مثل بعض الأعضاء في النادي الذين يعتبرون أنه مقدس.

- لا تهتمي.. فرجل في مثل مهنتي يتعلم أن يكون متبلد الحس، وأنت بالكاد خدشتيني. والآن أصبحنا متساويين، كما نقول في ميلانو من حيث ينحدر اهلي.

- أنا لا أتكلم الإيطالية، ماذا تعني بهذا؟

- أعني أن الأمر لا يسيء إليّ.. ولكن ماذا يؤلمك؟

- إنه سؤال شخصي جداً ولا يجب أن تسأله.

وتهدّج صوتها قليلاً، ثم نظرت حولها وكأنها تبحث عن طريقة لتتخلص منه. لم تكن مايا قد أحست من قبل بذلك التباين بينها وبين أي رجل، هو أسمر بشكل خطير.. وهي شقراء بعينين صفراوين.

- أنا أفعل أشياء كثيرة يجب أن لا أفعلها، مثل التحدث مع فتاة شابة من النخبة في كاليفورنيا. جذوري إيطالية متعودة على الألم جسدياً ومعنوياً.. وألمك فكري.. أو هل أقول عاطفي؟

- وهل من عادة الإيطاليين أن يكونوا شخصيين هكذا في لقاءاتهم العابرة؟

- حسناً.. وماذا ترين في وجهي؟

- إنك تحب العمل، والقليل من نار جهنم.

- أجل.. أنا مقاول.. ولديّ العديد من الحديد في مختلف أنواع النار، وما نفع الحياة دون صخور لتحطيمها، والنار للسير من خلالها، والعسل لتذوقه؟

وأجفلت لهذا التحليل، فابتسم لها فوراً، وقال بالفرنسية:

- انت كالجميلة النائمة.. لا بد أنك تعرفين الفرنسية، أظن أنك تعلمتيها في الثانوية.. هه؟

- أجل.. وأنا لست الجميلة النائمة!

- ألست كذلك؟

- وأنت لست بالأمير!

- لم أفترض هذا أبداً. بل على الأكثر، أنا برج غير محروس جيداً.

- برج غير محروس؟ أنت لا تبدو كذلك أبداً!

- ربما لا.

وفكرت: هذا المقاول لا بد أنه حر في حياته، ولا يهتم أبداً بما يظنه أي كان به.

- وربما تكون مشهوراً.

- تستطيعين المراهنة على هذا، وماذا أنت إذا لم تكوني الأميرة النائمة.. راهبة مبتدئة؟

- راهبة بثوب الرقص وحذاء فضي؟

لم تتذكر أبداً أنها اشتركت بمثل هذا الحديث مع رجل من قبل.

- بعض النساء لديهن حساسية داخلية في لبسهن أو في تسريحة شعرهن. أهذا ما يزعجك؟ ألا تستطيعين تقرير إذا كنتي تريدين أجراس العرس أم حريتك؟

- وكيف تستطيع أن...

وصمتت وهو يشير إلى الخاتم الماسي في اصبعها الثالث. وتطلعت بالخاتم بمجموعته الفريدة من الأحجار الكريمة، الذي وضعه باد في اصبعها مع ضحكة ساحرة، وشعرت فجأة بالتوتر، كانت مستعدة لإعطاء أي شيء في سبيل التخلص بسرعة من تلك الليلة الباردة، والإحساس بأنها حرة...

- من أنت؟ هل أنت ساحر؟

- أنا برناردو دونللي، وهناك أناس مسموح لهم أن يدعوني براد.

www.elromancia.com

ونظر مباشرة إلى عينيها، وقد اسرهما ببؤبؤيه الرماديين الجذابين. وتابع:

- لا أتصور أن هذا سيدهشك يا حلوة، فقد كان جدي من فقراء ميلانو، يسعى وراء رزقه في الشوارع الجانبية والساحات العامة. وأتى إلى اميركا فأسس نفسه، وأنا جزء من كل ذلك... هذا ما أنا.

- يبدو أنك ستشعر بالألفة لو كنت بين قطاع الطرق في جزيرة متوسطية.

كانت قد بدأت تتأثر به، وبدأ شعور بالخوف منه يجري في عظامها. كل شيء فيه كان رجولياً.. وربما رجولية مؤذية، وشعرت بأن رجليها قد تسمرتا بالأرض حيث تقف.

- شكراً.. يتطلب الأمر بريئاً ليكشف عن مرتكب الذنب.

- أنت مرحب بك.

- ولكن فقط من بعيد.. هه؟ وإذا تجرأت على تجاوز حدودي، من المؤكد أن تدوسي على لحمي الحي؟

- وهل هناك شيء حي في شكلك الصخري؟

- ألا يملك هذا كل إنسان؟

- لست على اطلاع واسع بالرجال، وقد يكون البعض فيهم شرفاء، كما أتصور.

- الشرفاء يتلقون الركل أكثر من الخطاة.

- أنت أدرى بالطبع، لأنك مضاد للرجل الصالح.

- وهل أنا رجل خطيئة؟

- رجل لا يترك للخطيئة او الخطاة ان يتحكموا به.

- وماذا يتحكم بي؟

وتركت لنظراتها أن تتجول بجسده النحيل، ولأنها معتادة على أجساد الشبان في أثوابهم الرياضية، في ساحات التنس ولعب البولو،

فقد كانت مايا تعلم ما هو الجسد الرجالي الكامل عندما تراه، مع أن هذا الرجل كان أكبر ببضع سنوات من باد ورفاقه.

- إن ما يتحكم بك هو العمل، الطموح في النجاح في حقلك. ولا تترك للعشب الضار أن ينمو تحت قدميك.. أليس كذلك؟

- إنه وصف بالكاد يبعد عني تسمية قاطع طريق. فقطاع الطرق يأخذون ما يريدون ولا يتعبون من الجري وراء المال.

- لقد قلت إنك تبدو كقطاع الطرق، ولم أقل إنك تسرق أموال الناس.

- وما رأيك بسرقة نساء الرجال الآخرين؟

- في هذا المجال لا بد أنك بعيد عن الشك.

- نحن لوحدنا تماماً أنت وأنا..

- إن خطيبي يتلاكم مع المحترفين.. سنيور، فهل تحب أن يتحطم أنفك الايطالي هذا؟

- إنت إذاً منطقة محرمة.. هه.. وعليك علامة فارقة من الألماس.

- تستطيع قول هذا...

وعلى الرغم من سهولة تبادلهما الحديث، فقد شعرت مايا بما يخفي هذا الرجل من نوايا. فهو لن يفكر مرتين في مهاجمة امرأة إذا أعجبته.. ولم تواجه من قبل هذا النوع من الرجال... وليس بالطبع مع باد دينغول، فمع الفتاة التي ينوي أن يتزوج منها كان يتصرف دائماً بتهذيب، ولم تترك مايا لنفسها أبداً أن تتصور كيف قد يتصرف مع رفيقة حفلة أو مع فتاة بار.

- أنا.. أنا لم أشارك بمثل هذا النوع من الحديث من قبل..

كانت قد اعتقدت أن هذه الكلمات لا بأس بها، ولكن ما ان انزلقت منها حتى أدركت أنها لا يمكن أن تسحبها، ونظرت إليه

www.elromancia.com

ببعض الارتباك..

ـ هذا لأنك منطوية على نفسك يا سنيوريتا. وأنت مكبوتة بداخلك.. هل تريدين أن تعرفي المزيد عن نفسك.. مدهل أن يكون المرء خبيراً بقراءة الشخصيات.. وأنت أعطيتيني مثل هذه القراءة..

ـ على المرأة أن تنظر اليك فقط و...

ـ وفوراً تستنتج ما هو سيء. نحن الايطاليون نعتبر دائماً إما مبتزوا مال أو أصحاب مطاعم.. أليس كذلك؟

ـ وهل أنت من النوع المبتز للمال؟

ـ هل ستندهشين أم تخافين؟

ـ حقاً.! إذاً لست نظيفاً كفاية، أليس كذلك؟

ـ عندما يلائمني الأمر فقط.. وأنت قد بقيت طويلاً في مخبئك، هادئة وجميلة، حتى أنني أشعر حقاً بما يحثني على تقديم صدمة لك، ماذا لو كنت مجرماً؟ هل تهربين مني وأنت تصرخين؟

ونظرت إليه برعب.. كم يبدو نحيلاً وقوياً، أسمراً وخطيراً.. قد يكون بكل سهولة من العالم الإجرامي، وربما معه الآن، مسدس صغير يحمله في جيب سري في سترة السهرة التي يرتديها. براد دونللي... اسمه بحد ذاته بدا وكأنه إشارة لأعمال في الظلام.. المافيا.. ربما، تلك المنظمة المرعبة ذات الجذور الايطالية.. وأردف قائلاً:

ـ لا.. قد لا تصرخين.. بل ستقاتلين بأسنانك ومخالبك دفاعاً عن شرفك.. أليس كذلك؟

ـ أنا.. أنا اظن أن هذا شيء يستحق أن أقاتل لأجله.

وفي مكان ما بداخلها شعرت بالألم وهي تفكر بوالدها، وتلك الوصمة من العار التي بذلت غلوريا جهدها لتمحوها من حياتها. إذا

لم يكن من ذهنها.

ـ سوف تحترقين بالنار لو أن هذا الغطاء البارد، المقدّس من الاحترام قد أزيل عن جسدك الأبيض.. أليس كذلك يا مايا؟

ـ كيف تعرف اسمي؟ لم نلتقِ من قبل و...

ـ وكان من المحتمل أن لا نلتقي، ونحن نتحرك في أجواء مختلفة.. أنت إذاً لا تشاركين بمثل هذا الحديث مع خطيبك؟

ـ وهل تظنني أفعل!

ـ وهل من الممكن أن يظن خطيبك أنك قادرة على القيام بهذا النوع من الحديث؟ أنت بنظره فوق قاعدة رخامية بيضاء، صافية حلوة كالعسل المصفى.. يقدم لك فروض الاحترام من وقت إلى آخر، الخاتم الماسي، وربما اللآلىء في أذنيك، ولكن هل أخذك مرة بين ذراعيه، وجعلك تشعرين بأنك إنسانة حتى أعماق عظامك؟

ـ هذا.. لقد تماديت كثيراً..

وتراجعت مايا إلى عند طرف طاولة البليارد، وبحركة سريعة كالبرق، أسرع ليوقعها في ما يشبه المصيدة بجسده وذراعيه، وأمسك بها. وبدا لها فوراً أن أفكارها ومشاعرها قد علقت بأسلاك شائكة، وهي تنظر إلى عينين براقتين خطرتين، وقال:

ـ لا.. لم أتمادى كثيراً.. أتسمعين الموسيقى، ماذا يعزفون؟

وأصغت بانتباه، وبدا وكأنها لن تستطيع السماع لارتفاع صوت دقات قلبها. ثم استطاعت تمييز ما تسمع، الأغنية كانت «لذة الحب».

ـ هل تعرفين ما هو.. هل شعرتي به؟

ـ اتركني!

وحاولت الإفلات منه، وشعرت بوخز أصابعه عند خصرها.

ـ كيف تجرؤ على التصرف هكذا؟ أوه.. افترض أن أحداً دخل

علينا؟ سيظنون أنني راغبة في هذا...

- ألست راغبة؟ ألست تفتشين عن رجل يكتشف المرأة التي في داخلك طوال السهرة.. حتى أنك هربت من الموسيقى التي شعرت وكأنها تسخر منك؟

- أنت شيطان!

وشهقت، لم تشعر مايا في حياتها كلها بهذا الضعف تحت رحمة قوة رجولية تقاومها ومع ذلك تشعر باللذة للمعاناة التي تواجهها. لو أنها صرخت لباد، سيدخل الناس راكضين وتستطيع أن تقول إنه يحاول اغتصابها، وسيصدقها الناس لأنها مايا كولين، التي تحت وصاية الأرملة الباسادينية الثرية، وخطيبة باد دينغول، فتاة لم يُعرف عنها العبث..

ومع علمها بهذا، أقفلت أسنانها، وقاومت بصمت هذا الرجل الذي كانت لمسته لها تثير كل جلدها. إنها ملك باد، وحياتها آمنة ومخطط لها. ومع ذلك فها هي هنا كسهم مشدود يرتجف في قوس قوي.

- لا تسميني بالشيطان أبداً إلا إذا كنت تعنين ما تقولينه..

وجهه كان قريباً من وجهها، ونطق بالكلمات من خلال أسنانه البيضاء.

- لست أقصد هذا! أنت متوحش.. تريد أن تجعلني أبدو وكأنني فاسقة...

- أوه.. هيا.. لو ان أحداً ضبطنا هكذا فستلجأ مايا الباردة الجميلة إلى دفاع فوري.. وستتهمني بمحاولة الاغتصاب، ولن أجد سيقان لأقف عليها.

- إذا كنت تعرف هذا، فاتركني قبل أن يدخل أحد علينا. لقد كاد الرقص ينتهي، وقد يريد خطيبي أن يأخذني إلى البيت.

- كم هو شاب محظوظ... نزهة في السيارة على شاطىء البحر تحت ضوء القمر، ثم عناق عند باب قصر ساتانيتا...

- أرجوك، يجب أن أذهب! ما تفعله ليس لائقاً..

- ولكنك توقفت عن المقاومة.

- لقد.. انقطع نفسي..

- صحيح..

وجذبها إليه فجأة، قريبة جداً منه، بحيث أحست بكل عظمة وعضلة من جسده، وشهقت، وتصاعد الدم بجنون إلى وجهها.

- لذة الحب.. الغرق في الحب.. هل تجدين الحب مخيباً للأمل يا مايا؟

- أنا أرفض أن أتجاوب مع هذا...

وحاولت التخلص منه ولكن دون جدوى، وكان محرجاً أن تجد نفسها بين ذراعي غريب. بهذه القوة، غير عابىء بمقاومتها.. باد لم يتصرف معها هكذا أبداً، لم يجبرها على وضع محرج هكذا... اللعنة على هذا الرجل، ستقتلع عينيه لو أنها استطاعت ان تصل إليهما!

- أنت لست في وضع تستطيعين فيه منعي عن أي شيء. وانت تعرفين هذا. عندما شاهدتك قرب النافذة بدوت كحمامة حزينة، وهذا يجعلني اصاب في الصميم.

- لا يمكن.. لك.. أن تصاب بشيء.. إنك تبدو ما أنت عليه حقيقة.. وانا لا أختلط مع المجرمين أمثالك.. وشكراً لك!

وضحك بنعومة.

- لدي مناعة إيطالية.. فلا يهمني، مهما نعتيني بهذا الصوت الجميل يا مايا، سأتركك عندما توافقين أن تقابليني ثانية.

www.elromancia.com

ـ لا!.. أبداً!

ـ أبداً هو وقت طويل للانتظار، ستبقى إذاً هكذا إلى أن يأتي رجلك الشاب الجذاب ويتهمني بمحاولة اغوائك، التي هي أفضل من تلك الكلمة الشنيعة التي استخدمتيها. هل ستكون مبارزة بالسيف عند الغروب. أم مباراة ملاكمة؟

ـ اللعنة عليك!

ـ هذه ليست كلمة لطيفة من فتاة مؤدبة مثلك..

ـ أنا.. أنا.. يجب أن أدع باد يحطم أنفك!

ـ إنه الوحيد الأنيق بين ملامحي، وأنت مخلوقة رقيقة لا تحب إيذاء الناس.. هيا، أين سنلتقي؟ إنها ليست جريمة أن تعيشي قليلاً قبل أن تموتي...

ـ أنت تبتزني سيد دونللي، وهذه واحدة من فضائلك المكتسبة دون شك.

ـ إذاً اصرخي.. دعيهم يأتون راكضين إلى هذه الغرفة، دعيهم يجدونك بين ذراعيّ.. أنا مقامر أيضاً، إذا كنت لا تعلمين...

ـ أنا لست معتادة على اللقاءات.. لذا لا أعرف أين قد ألتقيك. وأنت خبير بهذه الأمور، وهذا واضح، ولن تتركني قبل أن أستسلم، أليس كذلك؟

ـ لا... فأنا أتمسك عادة بما هو بين يديّ.

ـ بل بما هو بين أسنانك.. كقرش الأعماق!

ـ لن ألتهم أطرافك، لأنني أفضل أن تكوني قطعة واحدة. هل انت خائفة جداً مني؟

ووقفت جامدة بين ذراعيه، وهي تحس بقبضة عضلات ذراعيه.

ـ أنا منزعجة أكثر من كوني خائفة، فلست معتادة على هذه المواقف.

ـ أتعنين على من يجبزك؟ إذاً تخيلي أنني صديق قريب للعائلة يريد أن يخرج معك لتناول الآيس كريم، فأنت امرأة، والنساء بارعات بالتخيل، هل هذا جيد؟

ـ أنت في سن يقارب من سن عم أو خال، ولكنني لست بارعة بالادّعاء.

ـ ولكنك بارعة بما فيه الكفاية، كلنا بحاجة إلى ما يخدر مشاعرنا، وإلا ستكون الأشياء التي نواجهها في الحياة قاسية لا تحتمل. ولقاء سري من الممكن أن يكون رومانسياً، وليس من الضرورة أن يكون مقدمة لكارثة..

إنها تستطيع إنهاء الأمر، ولكنها نظرت في عينيه الرماديتين وسمحت لهما بأن يسحرانها...

ـ لا شيء يسهل الأمر.. إنه خطأ، وقد يكون خطراً..

ـ ليست الحياة مليئة دائماً بالعسل والورود، فالحلوى قد تصيب المرء بالتخمة والعطر قد يصبح غير محتمل... وقد اكتشفت هذا بنفسك الليلة، أليس كذلك؟ لقد هربتي من الموسيقى... وسعيت إلى شيء ما في الظلام هنا، وآلهة الظلام تراقب الملائكة، وهي سريعة في الاستجابة للصلوات.

ـ صلوات؟ وماذا تعني؟

ـ تعلمين جيداً ما أعني. ليس جديداً أن تحاول العبدة الحلوة أن تثور على قيودها، وصدف أن كنت ماراً، وأنا لا أؤمن بالقيود حتى ولو كانت من اللآلىء والذهب.

وتوقف قليلاً، ليعبث بالقرط اللؤلؤي في أذنيها وأردف:

ـ ألا تؤمنين بالقدر...

ـ أتعني لو أنني بقيت في صالة الرقص، لما قابلت الشيطان؟

ـ بالضبط... لقد كنت تقامرين دائماً بشكل شريف، والآن آن

www.elromancia.com

لك أن تخرجي ورقة من كمك وتغشي قليلاً.. قد يكون الأمر مفيداً، مع أن ضميرك قد يؤنبك.

ـ وهل تطلب مني أن أغش الرجل الذي أحبه؟

كلماتها كانت يجب أن تبدو مقنعة، لكنها بدلاً من ذلك بدت متكلفة، وشاهدت الابتسامة السافلة على أطراف فمه.

ـ أنا لن أطلب من امرأة أن تفعل هذا.

ـ ولكنك تطلب مني، أنت تجبرني على خداع شخص يثق بي، وأنا لا أحب هذا.

ـ أنا أطلب منك فقط أن تشاركيني بضع ساعات، وأنا لا أقترح عليك أن ترمي بنفسك من فوق قاعدة تمثالك، مع أنه ممل، وأنت جاثمة فوقه كالحمامة، تتوق إلى فرد جناحيها، ولكنها مقيدة بقيود مخفية... أوه.. لا حاجة لأن تدّعي أن الأمر ليس هكذا.. لأن هذا سيكون غير صحيح... أليس كذلك يا مايا؟

ـ لا أسمح لك باستخدام اسمي مجرداً.. ولست مجبرة أن أستمع إلى سخافتك. طريقتك في ادعاء معرفتك بكل شيء عني مسلية، هل تؤثر تمثيليتك السحرية عادة على النساء؟ حسناً.. إنها لا تؤثر بي، وأنا لم أشاهد أبداً تمثيليات النوادي الليلية وقراءة أفكار الناس، فهذا نوع من الخداع.. ولكن أستطيع القول إنك بارع!

ـ أتعتقدين أنني لن أستطيع قراءتك؟.. إن فيك حرارة، مع أنك تفضّلين إخفاءها، فيك لمسة من سيدة.. ولمسة من التضحية بالنفس. ولديك حس للمرح ولكن غير مصقولة ككل ما فيك. هيا.. اعترفي إنك واقعة تحت رحمة رجل له حدة كحدّ السكين؟

ـ وتظن أنني يجب أن اكون سعيدة بفكرة التواعد معك؟

ـ ولمَ لا؟ سيكون نوع من التغيير، من كونك أميرة باسادينا، إلى كونك مجرد نفسك مع رجل لا يتوقع منك أن تكوني ملاكاً..

ـ وهذا بلغة صريحة يعني أن ليس لدي خيار سوى أن أقول إنني سأقابلك؟

ـ كلانا يعرف يا مايا أن لديك الخيار. اسمعي، لقد سكتت الموسيقى وانتهى الرقص.. وتستطيعين الصراخ الآن. ويتم إنقاذ برجك العاجي... فاصرخي لفارسك ودعيه ينقذك من السكين..

ـ أنا.. لا أستطيع فعل هذا. فانسى الأمر.

وكشبح كانت تحوم في ذهنها ذكرى الفضيحة التي التصقت باسم كولين، وأجفلت من مجرد التفكير بالصاق أي ارتياب في ذهن أي انسان، بأنها هي من جلبت انتباه هذا الرجل.

ـ هل أنت خائفة عليّ أم على نفسك؟

ـ إذا كان عليّ أن أتورط معك، فأفضل أن يكون هذا في السر.

ـ لا يروق لك أن تضبطي في فم المدفع. كما الأمر الآن؟

ـ لا.. فليس من دخان دون نار، وأنت تعلم كيف هم الناس.

ـ وهل تتصورين أنني أحمل خنجراً في كم قميصي؟

ـ أنا واثقة أنك قادر على هذا.

ـ أجل... أنا قادر.. ما لون عينيك هه؟ أهو مزيج من العسل والذهب؟

ـ أوقف هذا الحديث المجنون واتركني!

واستطاعت ان تشعر بالذعر يستولي عليها من جديد، فقد توقفت الموسيقى الآن، ولن يمضي وقت حتى يأتي باد ليفتش عنها.

ـ سألقاك، إذا كان هذا ما تريد، ولكن أرجوك... الطريقة التي تمسكني بها... تبدو وكأن... وكأن....

ـ وكأنها حميمة... هذه هي الكلمة. هناك خليج صغير تحت الطريق مباشرة قرب سانتا ايسولا. والمكان هناك هادىء، ومنعزل، كوني هناك يوم الأربعاء.. وسأحضر سلة فيها الغداء.

www.elromancia.com

ـ آه.. كهف الراهبات!.. حسن جداً..

ـ أهذا ما يسمون ذلك المكان؟

ـ أجل... وأنت تعلم هذا..

كان عليها أن تعد بالذهاب، ولكن هذا لا يعني أن تفي بالوعد.

ـ سأجيء إلى ساتانيتا إذا خذلتيني يا مايا. وهذا وعد، وليس تهديداً.

ـ اللعنة على عينيك! لا عجب أنك تستطيع فرض نفسك على الناس.. أنا لا أتصور أن لديك الكثير من الأصدقاء، فقط النوع الذي تشتريه أو تهدده.. يا إلهي، لماذا اخترتني؟

ـ تعلمين جيداً لماذا اخترتك، أم انكم تقلبون المرايا نحو الحائط في ساتانيتا؟

عندها فقط، وهي تنظر إلى عينيه، شعرت بنفسها قريبة من الصراخ.. وفتحت فمها، ووصلت الصرخة إلى حلقها، وراقبتها العينين الرماديتين منتظرة، وفيهما نظرة ساخرة فهمت مايا منها أنه سيتركها تتهمه بالاغتصاب، ولتذهب العواقب إلى الجحيم.. كان يتوقع هذا وكأنه لا ثقة أو إيمان عنده بأي كائن حي.

ـ سأكون هناك يوم الأربعاء... وأتمنى أن تتصرف كسيد مهذب؟.

ـ وهل ستتجرأين على الخطيئة فوق جلد نمر؟

ـ وهل تنوي أن تأتي معك بجلد نمر؟

ـ يبدو هذا وكأنه حفلة جميلة.. ألا تعتقدين هذا؟

ـ ستكون حفلة كالجحيم.

وعلمت بشكل مؤكد أن غلوريا آرثر ستكون غاضبة جداً إذا عرفت أن ابنتها التي ربتها جيداً، قد تركت نفسها تُجبر على قضاء نزهة على شاطىء البحر مع إيطالي... وتسارع شيء ما في عروق مايا.. خيط من الإثارة.. متشابك مع تلك الخيوط الفضية التي تربط إخلاصها

وعرفانها بالجميل لغلوريا الرائعة. فمنذ كانت طفلة، كانت تحبها دوماً وتطيعها، ولكن من المؤكد أنها كبيرة ما فيه الكفاية لتستطيع تدبير أمورها مع رجل رآها وتمنى أن تكون له لفترة قصيرة؟ وكلاهما يعرف أن الأمر لن يقود إلى شيء.. قليل من الخطر لمايا، مع هذا الرجل، الذي قد يدعوه اصدقاؤها الأذكياء «وغداً».

ـ مايا والتنين.

ـ منذ برهة كنت السكين.

ـ لقد كنت أشير إلى شخص آخر يلوح في أفق حياتك. ولكن لن نناقش هذا الآن.. فالوقت قصير.

ـ كم أنت ساخر يا سيد دوناللي!

ـ ادعيني براد.

ـ حتى هذا، حتى اسمك خليع.. أليس كذلك؟

ـ ولكنه مناسب، لوغدٍ في شوارب سوداء.. ألن تقولي هذا؟

ـ يجب أن يكون اسمك الأوسط «الساحر».

ـ أنت تسمين السحر خدعة يا مايا، ويمكن أن يكون هذا صحيحاً، إنه خدعة تجرى في دمي الإيطالي.. أنت تشبهين زهرة الأوركيديا المدفونة تحت الزجاج، ولا أستطيع مقاومة إخراجك منها.

ـ أتعني أنني شيء اعتنوا به لينمو، وليس فيه شيء طبيعي؟ لديك شفرات تحت لسانك سيد دوناللي، وتعلم جيداً كيف تستخدمها.

ـ هناك علاقة إعجاب دائم بين الايطاليين والفولاذ..

ـ ومعارك الشوارع الخلفية؟

ـ آه.. اتفضلين إذاً أن اشترك في هذا النادي الفخم مع بقية الشباب؟

ـ إنه حلم لك.. يجب أولاً أن يرشحك أحد الأعضاء، والسكرتير هنا هو اكبر متعجرف بين الجميع، وأنت تعرف هذا، ولا أستطيع أن

www.elromancia.com

أتصورك بين اناس أذكياء كسولين ينظرون إلى العمل كخطيئة.

ـ وهل تظنين أنني أحب العمل الشاق؟

ـ أنا أعرف هذا سيد دونللي.. إنه مكتوب على وجهك..

ـ إذا كنت أجد العمل هكذا، فكيف تظنين أنني خطر؟ هل العمل والخطر متطابقان..

ـ في حالتك أنت أجل.. ولا أظن أنه يناسبك أن تصرف طاقتك في الرياضة. فعليك أن تتنافس في السوق مع التجار في المنافسات التي تقطع الرقاب، فهذا يرضي شيئاً فيك.

ـ كم تجعليني أبدو قاسياً.

ـ أنت قاسي.. أليس كذلك؟

ـ دائماً.. يا عسلية العينين، من جذور شعري حتى أخمص قدميّ هل أخيفك؟

ـ أجل.. فأنت بدون رحمة...

ـ أليس لديك افتتان طفولي؟

ـ الفتيات لا يردن أن تكون رغباتهن دائماً مسلّم بها.

ـ أتعنين أن الخطر هو شيء تحب الأناث أن يتمتعن به في أذهانهن فقط.

ـ أجل.. وأنت لن توفر فتاة أبداً.. أليس كذلك؟

والتقطت شفتها السفلى بأسنانها الجميلة، ومرت عيناها فوق وجهه، إنه أسمر كثيراً، ومختلف عن وجه باد الأبيض. إن باد لطيف جداً، ورقيق جداً، وعضت شفتها بقوة..

ـ لا تفعلي هذا فسوف تدميها.

ـ هذا لن يزعجك.. أنت.. أنت أكثر من قاسي!

ـ هناك عدة وجوه مختلفة للقساوة يا مايا. فانا لم أمسك أبداً فراشة وأراقبها وأنا أسحق أجنحتها الرقيقة أكثر فأكثر إلى جسدها

الرقيق الفضي، ولكن ضربت رجلاً على وجهه إلى أن كسرت له بعض أسنانه.

ـ أوه.. ولماذا؟ ماذا فعل لك؟

ـ لقد باعني بعض الكافيار الفاسد.. ولكنني سأتاكد من أن ما سأجلبه معي إلى كهف الراهبات سيكون أفضل ما في بحر قزوين.

ـ إذاً أنت مصر على تحقيق ذلك الوعد، سيد دونللي؟

ـ بنفس القوة التي أتمسك بك الآن.. هل تسمعين أصواتاً تقترب منا.. كذلك أنا.. أقترح عليك أن تتسللي خلف ستائر النافذة والاختباء بينما أحاول الانسحاب.

وابتسم، ثم تركها، وانحنى لها بسخرية، وابتعد عن النافذة لتستطيع الاختباء وراءها، وتختفي بينما يخرج براد دونللي من غرفة الألعاب. وسمعته يقول بصوته الجذاب.

ـ مرحباً.. كنت أتفحص طاولة البليارد..

وضغطت مايا بيدها على فمها، ثم لاحظت أنها تكاد تضحك. إنه شيطان، وقد جعل منها متآمرة... ولن تجرؤ أن تراه ثانية، وعليه أن يأكل الكافيار لوحده. وإذا تجرأ أن يأتي إلى ساتانيتا فستنكر معرفتها به. ولا يستطيع أحد أن يمر عبر الأبواب الأوتوماتيكية، إلا إذا سمح له من في المنزل، وهكذا ستكون آمنة من هذا الإيطالي.

ـ مايا.. حبيبتي.. هل أنت هنا؟

كان صوت باد، وخرجت من مخبأها وابتسمت له، فقال:

ـ هل كنت تختبئين مني؟

ابتسامته كانت معجبة بوجهها الجميل الذي يحيط به شعرها الناعم، ومد يده إليها بوشاحها المخملي الطويل، وبينما كانت تقف بهدوء ليتمكن من وضعه بشكل يلائم ياقة فستانها الحريري فوق رقبتها

www.elromancia.com

النحيلة، لم يظهر عليها أن قلبها ما زال يضرب أسرع مما كان باد قد جعله يضرب أبداً.

ـ هل نذهب إلى المنزل؟

ـ أجل.. هيا بنا.

وسارت معه بهدوء ورشاقة، خارج غرفة الألعاب التابعة للنادي الريفي.

في الأسفل، كان أعضاء الفرقة الموسيقية يجمعون معداتهم والسقاة ينظفون الموائد، والمكان يعبق بالدخان، والشبان يدعون بعضهم، وأبواب السيارات تغلق بقوة، في الطريق خارجاً.. ومن تبقى يتحدثون حول لعبة التنس القادمة، أو لعبة غولف، واستمعت مايا إلى كل هذا وكأنها في حلم.

وخرجا إلى سيارة باد «الستود بايكر سكاي هول»، وكم بدا وقتها وكأنه ولد طائش، بشعره الأشقر، وأضواء الباحة تلمع في عينيه الزرقاوين.

ـ ادخلي إلى السيارة يا حبيبتي. ألم تتمتعي بوقتك الليلة؟

وساعدها على الصعود وقد بدا عليه الاهتمام.

ـ طبعاً..

وابتسمت له، وفكرت في نفسها بأنها قد أمضت وقتاً غير عادي، ولا تستطيع أن تصدق أنها كانت عرضة لطلب من رجل هو النقيض لباد في كل شيء. واستدار حول السيارة وانزلق في مقعد القيادة إلى جانبها.

ـ ظننت أنك قد تكونين ضجرتي قليلاً لأنني كنت أتناقش مع ستيف برت حول الجولة القادمة من اللعب، أنت تذهبين عادة إلى غرفة الألعاب أليس كذلك؟ يا حلوتي..

حلوتي.. إنه تحبب بسيط بما فيه الكفاية، ولكن مايا أحست

بتقلص في معدتها. وسمعت في ذهنها ثانية صوتاً أعمق وأكثر نضوجاً يقول لها نفس الكلمة فتعطي نغمة أبعد ما تكون عن العادية. لقد قال لها، إنها بطعم العسل.. صخور للتحطيم.. نار للسير فوقها... مثل هذه التسميات الخشنة لم يكن لها مكان في حياة باد. لأن ثراء والديه الكبير يؤمن له أن يكون في النهاية الأميركي المثالي، مصقول، جميل، رقيق ومحب للرياضة.

ـ ربما على النساء أن يخاطرن من وقت إلى آخر، حتى ولو في سبيل أن يشعرن بالحياة.

ـ أنت حية بما فيه الكفاية لي، أعتقد متكدرة قليلاً. ولكنك بدوت رائعة الليلة بحيث شعرت بالفخر لتحقيق أحلامي.. الكل لاحظ أنك أجمل فتاة. وسأمسك الخشب وأصفّر لمنع الحسد عنك. فنحن لا نرغب في أن يلعب الشيطان الاعيبه بيننا. أليس كذلك؟

ولم تستطع مايا كبح ضحكتها.

ـ أوه يا باد إنك تبدو متزمت وفاتن في بعض الأوقات!

ـ حلوتي.. أنا أحبك لرباطة جأشك، ولذلك الجو الهادىء الذي تشعينه من حولك عندما تدخلين إلى غرفة، حتى أن الناس يحدقون بك وكأنك زائرة ملكية، ويسارع الخدم للإشراف على خدمتك.. وهذا هو النوع من الكريما الذي أحبه على كعكتي...

ـ كعكة الملائكة؟

ـ طبعاً.. لا أستطيع وصفها أفضل منك. أتعلمين أن مزاجك غريب الليلة أيتها الاميرة، أظن أن لهذا علاقة بواقع أننا سنتزوج قبل الميلاد.

ـ ونحن الآن في آب.. إننا عند محور السنة، عندما تبدأ الأوراق بالسقوط عن الشجر، ويبدو المغيب أجمل، إنه فصل كئيب.

www.elromancia.com

ـ لقد أحببت دائماً الغموض فيك. أنت لست كباقي الفتيات.. انت أعمق منهن. وأنا محظوظ لأنني حصلت عليك، وأنوي التمسك بك.

قلب مايا ارتجف قليلاً لكلماته ولهجته المتملكة الفجائية. وساد الصمت بينهما، ولاحظت من الظلال أمامهما أنهما اقتربا من ساتانيتا. وبدأت السيارة تسرع أكثر متسلقة التلال، لتبلغ الأبواب العالية التي ستفتح لصوت زمور الستود بايكر، ويقود نفق من الأشجار الباسقة إلى المنزل وكأنه جادة من الظلال وعطر الأشجار.

للمنزل أبراج تشبه قصراً أبيض في ضوء القمر، وقمم سطوحه تلمع كحجارة مصقولة. والقناديل على الجدران في باحته الخارجية تضفي نورها الذهبي على الدرجات التي تقود إلى الباب الأمامي المرتفع، وأحست مايا بالراحة لأنها اصبحت أخيراً في المنزل محمية من المشاكل التي تواجهها الآن وقد كبرت ولم تعد تفكر بساتانيتا وكأنه الحصن الذي يحميها من الأخطار الغازية لفترة المراهقة.

ـ أنا تعبة جداً...

وأمسك خطيبها بيدها وهي تصعد الدرجات، وأوقفها قرب إحدى أوعية الزهور الضخمة على جانبي الدرج.

ـ هل كنت تتحدثين معه؟

ـ مع من..؟ عمن تتكلم؟

ـ مع ذلك الرجل الغريب الذي خرج من غرفة الألعاب عندما وصلت إلى الباب.. لقد كنت مع ستيف الذي كان يحاول الوصول إلى السكرتير لصرف شيك له. لقد لاحظنا الرجل، الذي قال شيئاً بالإيطالية. لقد كنتي في غرفة الألعاب يا مايا.. ومن المؤكد أنك رأيتيه؟

ـ انا.. لقد شعرت بأن شخصاً دخل لبضع دقائق. وكنت أقف عند

النافذة، وخرجت عندما ناديتني.

ـ اذاً، لم تتبادلي أي نوع من الحديث معه.. إنه طويل.. أسمر وكأنه الشيطان. وهو بالتأكيد ليس عضواً في النادي، وإلا لكنت عرفته. لقد رمقني بنظرة غريبة عندما مرّ بي.. نظرة حاقدة.. أستطيع القول.

ـ أوه.. لا تتحدث بهذا الشكل السخيف! من الممكن أن يكون هناك لبعض الاعمال. لا يمضي الجميع حياتهم في الاحتفالات الراقصة!

ـ وهل هذا تلميح ساخر لي؟ لو أن والدي كان يعمل بدل أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ، إذاً لعملت معه دون شك، ولما كنت جيداً في العمل السياسي يا مايا. أوكي، نحن أغنياء، ولكننا لسنا عاطلين عن العمل. فنحن مشغولون دائماً، ولقد أديت واجبي في فيتنام.

ـ أوه يا باد، أنا لا أنتقدكم، ولكن أنت وأنا وأصدقاؤنا ننظر إلى كل من هو من خارج دائرتنا وكأنه نوع من... الخطر على نمط حياتنا. أعني... كحاقد..

ـ لم أشاهد في حياتي حاجبين بهذا السواد، وعينين بهذا البريق، وكأنهما الفولاذ الحاد.

تلك الكلمات كانت كالسكين، وتخلصت مايا بسرعة من بين يديه.

ـ أنا تعبة، ولا أنوي الوقوف هنا عند منتصف الليل أبحث أمر غريب، قد يكون على الأرجح شخص محترم، ولا يزيد خطراً عنك أو عني.

ـ إذا كان هذا رأيك، فأنت إذاً لم تشاهديه، لقد جعلني أشعر وكأنني مدموغ.. مثل الشعور في فيتنام عندما يحس المرء بقناص

www.elromancia.com

قريب وأن اسمه قد يكون مدموغاً على الرصاصة التالية. . وأعني ما أقول يا مايا. فأنا أشعر تماماً عندما يرمقني أحدهم بعين شريرة.

ـ لم أسمعك تتحدث بهكذا هراء من قبل! اذهب إلى منزلك يا باد. وانتبه وأنت تقود. سأراك في المباراة يوم الجمعة.

ـ هل آتي لأخذك، أم تذهبين بسيارتك؟

ـ سأذهب بسيارتي. وهذا سيعطيك وقتاً اكبر لتحضير نفسك للمباراة، تصبح على خير.»

وأسرعت لتدير مفتاحها في الباب ثم انسلّت إلى الداخل قبل أن يكون لديه وقت للمطالبة بوداع أقل رسمية. ووقفت في الداخل، ولم ترتح حتى سمعت السيارة تبتعد.

لم يكن من عادة باد دينغول أن يكون لديه مثل هذه التخيلات. . . هل رأى حقيقة تهديداً في عينيّ براد دونللي، أم أن هذا ردّ فعله العادي تجاه غريب لا ينتمي إلى عضوية مجموعة ارستقراطي باسادينا؟

وصعدت مايا إلى غرفتها، متحركة بهدوء ومعطفها فوق ذراعها، حتى لا يصدر عنها صوت قد تسمعه غلوريا، ذات النوم الخفيف. وشعرت مايا أنها قد مرت بما يكفي من الحديث المزعج، ولدى عرابتها شعور خاص تلاحظ به متى تكون مايا مضطربة وتريد دائماً معرفة السبب.

آخر شيء قد ترغب فيه مايا أن تعرف عرابتها شيئاً عن براد دونللي، ومرت أمام غرفة غلوريا وقد أوقفت أنفاسها، ولم تتنفس بحرية إلا بعد أن بلغت غرفتها. ووقفت هناك في الظلام، تصغي إلى أدق الأصوات.

إنه منتصف الليل، والحفلة الراقصة قد انتهت، وغداً تستطيع التحدث عن الحفلة ببساطة. . ففي ضوء النهار ستبدو أحداث الليلة

مثل القصة الخرافية وستستطيع الابتسام، وأن تمحي من ذهنها ذلك اللقاء مع ذلك الرجل الذي ليس له أي دور يلعبه في حياتها.

غداً. . سيبدو كل شيء وكأنه حلم، قد تتذكر نصفه فقط.

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

٢ ـ سجن من ذهب

بقيت مايا عند موقفها ولم تفي بذلك الموعد عند كهف الراهبات. وكيف تستطيع أن تفي به بعدما قاله باد، إضافة إلى قناعتها بأنه ليس من الحكمة تشجيع مثل هذا الرجل.

وحضرت مباراة البولو يوم الجمعة، وكانت المباراةمثيرة، وربح فيها فريق باد. وتناول جميع من في حلقة الأصدقاء الشاي فيما بعد في نادي البولو، وكانت حفلة مرحة لم يعكرها شيء، وارتاحت بعدما لاحظت أن باد قد نسي التوتر بينهما. وانتهى اليوم بسعادة، وأبعدت عن ذهنها ذلك التهديد الذي قاله براد دونللي بأنه سيأتي إلى ساتانيتا لو أنها تجرأت على خداعه.

صحيح أن منزل غلوريا الكبير على التلة، محاط بمساحات واسعة من الحدائق الطبيعية الجميلة، له أبواب عند مداخله مغلقة تماماً في وجه أي زائر غير مدعو، ولكن كان هناك مدخل سري عبر الحدائق نفسها، لأن الحدود كانت منطقة حرجية، كثيفة الأشجار وبالكاد يستطيع أي إنسان أن يتسلل منها.

وكان هناك ممر صعب مهّده تجول مايا على ظهر الجياد، فالغابة هناك تمتد إلى شاطىء مهجور تحيط به الصخور، وكانت تعتبر ذلك المكان وكأنه خاص بها. وعلى صهوة جوادها «مايجور» تخوض المياه هناك. وكلاهما يتمتع بهذه العزلة، لعلمهما أن أحداً لن يتطفل عليهما.

ولم تتوقع مايا أبداً أن يستعمل أحد غيرها ذلك الممر الصعب كما تستعمله هي، في طريقها من وإلى أراضي ساتانيتا، الى ان وقع في اسماعها صوت حوافر، وهي جالسة في غرفة المكتبة الصغيرة الجذابة حيث تجلس عادة لتكتب الرسائل، وتقرأ جريدة الصباح.

ورفعت نظرها عن الجريدة وحدّقت غير مصدقة بالجواد والراكب من وراء الأبواب الزجاجية... كلاهما كان داكن اللون، متحفزين تماماً، ومرتاحين.

وبسخرية مقصودة، رفع عصا الركوب محيياً. كان يرتدي سترة ركوب وبنطلون ركوب جميل مناسب لها، وزوج حذاء عالي حتى الركبتين. وبدا أنه يركز على تلك الصفة السمراء الشيطانية فيه، وشعرت بالرعدة في ساقيها وهي تقف عن كرسيها وتراقبه وهو يترجل عن جواده. وشاهدت يده السمراء تمر نزولاً على رقبة الحيوان، وتمتم له ببعض الكلمات، ربما بالإيطالية، والتي لا بد أن المخلوق الوسيم قد تدرب على فهمها وإطاعتها، كتعويذة الساحر، ووقفت مذهولة: كم هو ماكر هذا الرجل ليعلم أن دخوله عبر البوابات مرفوض وهكذا وجد طريقاً اخرى.

طريقها الخاصة... سيدفع ثمن وقاحته!

وفتحت أبواب الشرفة بغضب وخرجت إلى الباحة الخارجية وعيناها تلمعان.

ـ كيف تجرؤ على القدوم إلى هنا! من أين لك الحق؟ هذه أملاك خاصة، وسأنادي «هادسن» وكلابه ليطردوك إلى خارج أرضنا!

ـ لديّ طريقة خاصة للتعامل مع الكلاب. وأعتقد أن من رأيته وأنا قادم إلى هنا هو «هادسن»، رجل شعره أحمر وعينين اسكوتلنديتين. لقد ظن أنني صديق قديم...

ـ أنت لست صديقي! أنت لست سوى متعدٍ على أملاكنا! كيف عرفت بأمر هذا الممر عبر الغابة؟ أنا الشخص الوحيد الذي يسلكه.

ـ الساحر عادة لديه عدة الاعيب يخفيها في أكمامه يا مايا. أنت أكثر جاذبية الآن تحت نور الشمس مما كنت عليه تحت الأضواء الاصطناعية.

ـ ألا تعرف كيف تفهم الإشارة سيد دوناللي؟ اعتقدت أنك فهمت عندما لم أحضر إلى كهف الراهبات بأنني لا أرغب في رؤيتك مجدداً.

وأعتقد أن الحقيقة هي أنني لم يجب أن اتوقع منك أن تتصرف كسيد مهذب!

ـ حقاً.. هذه هي الحقيقة. ولكن، أهو تصرف لائق من سيدة أن تترك رجلاً يأتي كل هذه المسافة من لاس بالماس، دون أن تترك له رسالة، تحت صخرة ربما، تعلمه فيها أنها لن تنضم إليه على الغداء؟

ـ وهل تصورت فعلاً أنني سأكون هناك؟

ـ أجل لقد تصورت هذا.. هل خفتي عندما قال لك خطيبك إننا التقينا وجهاً لوجه في الممر خارج غرفة الألعاب؟ إنه شاب عابث جميل، ولكنه ليس غبياً كما يظهر عليه.

ـ إن لك أعصاباً أبرد من أعصاب الأفعى! لن أسمح لك بالتحدث عن باد بهذه الطريقة الساخرة، من تظن نفسك؟

ـ السؤال ليس من أظن نفسي، لأنني أعرف الجواب جيداً.

المشكلة أنك أنت لست واثقة من أكون، لأنك لم تلتقي بمثلي من قبل، أليس كذلك يا مايا؟ هل اعتقدتي فعلاً أن بإمكانك التخلص مني؟ أو أنني لن أنفذ تهديدي بالقدوم إلى ساتانيتا؟ إنه مكان قديم رائع. القصر المناسب «للجميلة النائمة» له غابته السحرية الخاصة التي قد تبعد أي كان ما عدا الرجل الذي يصرّ على إيقاظ الأميرة من نومها المسحور. لقد شعرت دائماً أن كسر السحر يحتاج إلى وغد مخادع أكثر من حاجته إلى فارس غير ناضج يضع قبعة ذهبية فوق رأسه.

ـ هل تتحدث دائماً بالألغاز؟ أنا لست واقعة تحت سحر تعويذة، وإذا احتجت إلى شهم نبيل ليساعدني، فسأختار إنساناً أستطيع الوثوق به. لقد رآك باد، وأراد أن يعرف ما إذا كنت قد تكلمت معي. واضطررت أن أكذب عليه. وأنا لا أحب الخداع.

ـ ولماذا شعرتي بحاجتك للكذب؟ كان بإمكانك القول إن خادماً غريباً قد تكلم معك...

ـ أوه.. توقف عن هذا! أظن أنك تقول هذا لإنني دعوتك بالخادم..

ونظرت مايا من حولها بقلق، لأن غلوريا قد تستيقظ الآن من نومها وقد تظهر في أي لحظة، وقد تطلب التعرف إلى هذا الزائر غير المتوقع.

ـ أتمنى لو أنك تذهب. فعرابتي لن يعجبها وجودك هنا دون دعوة. فهي حساسة أمام من يدخل ويخرج من هنا، لأن هناك أثريات ثمينة في المنزل.

ـ حقاً؟ أؤكد لك آنسة كولين، أنني لا أهتم أبداً بالأثريات القيمة في منزل عرابتك. في الواقع، أتمنى أن اقابل هذه السيدة.

.لا يمكنك هذا! إذا كنت تأمل أن تقتحم طريقك إلى مجتمع

www.elromancia.com

باسادينا من خلال لقائك بغلوريا، فعليك التفكير ثانية. اؤكد لك أن أصحاب المطاعم ليسوا على لائحة معارفها.

ـ أنا متأكد من هذا. وأستطيع أن اقول لك إن آخر شيء أفكر فيه هو اقتحام طريقي إلى هذا المجتمع اللطيف الذي تحكمه سيدات عجوزات رائعات ومتعجرفات، هدفهن الوحيد في الحياة المحافظة على المستوى الحاضر للطبقة الوسطى.. العديد منهن لديهن منازل كبيرة، ومدخول مؤمن، مؤسس على عمليات الارتزاق لأسلافهن الذين أخرجوا من وطنهم بسبب جرائم مختلفة، وأرسلوا إلى المستعمرات كعبيد لمالكي المزارع والمصانع، حيث خدعوهم دون شك بخبراتهم بحيث أصبحوا مع الوقت أسياداً. وأنا معجب بدهائهم وعملهم، ولكن هذا لا يجعلني أشعر بالخضوع لأمثالكم يا مايا. ولا أريد أي دور في مثل هذا المجتمع حتى ولو قدم لي على طبق من ذهب، ووضع في فمي بملعقة من الجواهر.

ـ إذاً ماذا تفعل هنا؟ إذا كنت تحتقر أسلافي هكذا، فما هو الشيء الذي تجري وراءه؟

ـ العقاب...

وبحركة سريعة أرسل طرف سوطه ليلتف حول خصرها. وشهقت عندما أحست بلذعته، واضطرت للتحرك نحوه وهو يجذب السوط.

ـ إنني سليل قوم الثأر يجري في دمهم كما هو الثراء والامتياز في عظام أسلافك.

ـ وهل تفعل هذا بي لأنني لم أفي بوعدي عند كهف الراهبات؟

ـ الخدعة هي في أن تروض امرأة أو جواداً دون أن تترك أثراً على الجلد.. ولماذا لا أطالب بالتعويض لأنك خدعتيني؟

ـ ألست معتاداً على هذا؟ هل تطيع النساء عادة أوامرك وتزحفن لطاعتك عندما تضرب بسوطك؟ أعتقد أنك تلقيت ضربة موجعة عندما

لم أظهر. وهل كنت تعتقد أنني سأكون هناك؟

ـ لقد خدعت لأصدق تلك الشابة، ولكن يبدو أنني كنت مخطئاً.

ـ إذاً، انها جريمة في نظرك أن تجرؤ امرأة على إظهار قلة الاحترام لك؟ حقاً سيد دوناللي، لا يبدو عليك أن جلدك رقيق لهذه الدرجة، في الواقع أنت أقسى رجل قابلته في حياتي.

ـ حتى القسّاة لديهم لحظات انكسار. لقد جرحت كبريائي لاضطراري إلى تناول الغداء لوحدي في وقت كنت أتوقع أن يكون معي رفيقة. لقد حذرتك أن لا تتخلفي عن ذلك الموعد.. ألم أفعل؟ وقلت إنني سآتي إلى ساتانيتا، ولكنك من الواضح، ظننت أن الأبواب المحروسة للقلعة سوف تمنعني من الدخول. اللص الماكر لا يهاجم من الأبواب الأمامية في وقت يستطيع الاستيلاء على الحصن من الوراء.

ـ أظن أن هذه هي طريقة نجاحك في أعمالك. فأنت تجد المكان الضعيف، في الدرع، وتفاجيء منافسك وخصمك. أنت رجل خطر، ألست هكذا سيد دوناللي؟

ـ أتمنى لو اكون. فالرجال دون خطر مثل النمر دون أسنان. العناصر التي لا يمكن التنبوء بها في الحياة تكون دون شك أكثر إثارة من تلك التي تكون معروفة؟ إنه أمر طبيعي في الطبيعة الإنسانية أن نحتاج إلى الشعور بمنبهات للقلب تجري في عروقنا. ومن دونها نكون مثل تماثيل الشمع.

الواقع المؤلم، أن مايا وجدت نفسها موافقة على ما يقول، ولكن ما من شيء أقل من التعذيب يدفعها لأن تعترف. إنه نمر، وله أسنان قوية بيضاء تشبثت بمؤخرة عنق الحياة، وهزتها هزة قوية.

وشعرت مايا بالنفور منه، ومع ذلك لم تستطع أن تقول إن نظراته،

صوته، أو طريقة لبسه منفرة لها. إنه يجعلها غير واثقة من نفسها، إنه يلغي النظرية التي تقول إن الرجال والنساء هم بشر فقط... إنها مدركة بشكل لا يحتمل أنها انثى يستطيع هذا الذكر الاستثنائي أن يوقعها دون حراك بضربة خفيفة ويحملها إلى عمق الغابة، يساعده بهذا جسده الضخم، إنها واثقة من هذا... وبحركة فجائية غير متوقعة من السوط جذبها إليه.

ـ أنت باردة كالثلج؟ ألست هكذا؟ مطمئنة لمكانتك والحياة التي تخططين للعيش فيها مع رجلك الشاب اللطيف.

ـ ولمَ لا؟ فأنا لن أتزوج رجلاً مدللاً، حتى ولو اعتقدت أنه هكذا. لقد كان باد في فيتنام.. ولم يمض حياته دون مواجهة المخاطر. وبينما كان يقاتل كنت أنت على الأرجح تخدم في المطاعم!

ـ كنت أخدم فعلاً.. لقد كنت طيار هليكوبتر فوق أرض المعارك وكانت مهمتي التقاط المصابين خلف الخطوط... أوه.. أجل... لقد شاهدت عدة حالات من الجثث المحترقة انسة كولين.

وحبست مايا أنفاسها وأدركت أنه نسبة لسنّه ليس أكبر بكثير من باد دينغول، مع أنه يبدو وكأنه اكبر بعقد من الزمن. وقال لها آمراً:

ـ قولي إنك آسفة.. لا يعني مجرد أنني لست من النوع الناعم كخطيبك، أنني متقدم كثيراً في السن.. كم تظنين عمري؟

ـ انا.. لم أفكر بهذا لحظة واحدة.. عمرك لا يعني لي شيئاً.. ولماذا يعني لي شيئاً؟

ـ لأن الربيع والشتاء لا يمتزجان أبداً.. أنا في السادسة والثلاثين، عيد ميلادي كان يوم الاربعاء والحفلة لم تكن كما كنت أحب أن تكون.

ـ اوه.. أنا آسفة، ولكن كان عليك أن تتوقع أنني لن أكون هناك. فأنا لا أتلاعب من خلف ظهر خطيبي.. إنه لطيف جداً معي...

ـ لطيف؟ هل هذا كل ما تطلبينه من الحياة، ولد لطيف يجعلك ملائمة لحياته المليئة بالبولو، والغولف والتنس؟ وهل أنت خائفة من علاقة كاملة مع رجل حتى أنك ترحبين بفكرة قيامك بالدور الرابع بين ما يجيده من نشاطات رياضية؟ ومتى تظنين ان لديه الوقت أو الطاقة الكافية لك؟

ـ أوه.. كيف تجرؤ على قول مثل هذا الشيء؟

ـ وهل يلزم الحقيقة ثوب أنيق قبل أن تُقدّم آنسة كولين، مثل كل شيء في حياتك؟ ألا تحبون أن تعرفوا أن السلاحف كانت حية قبل أن تُقدم كحساء على موائدكم. وأن بعض الحيوانات تقاسي عند سلخها لتؤمن لكم الفراء؟ استطيعين، صدقاً، أن تقولي إنك لم تتمني أن تكوني من الجنس البشري أحياناً؟

ـ اصمت! لم أسألك ان تقرأ أفكاري ومشاعري! ماذا فعلت لك؟

ـ ربما يكون التهور في التأثير بي. أنظر اليك يا مايا وأدرك كم هو الانتقام لذيذ.

ـ الانتقام شيء شرير. من المفترض بنا أن ندير الخد الآخر.

ـ إذاً، سأدير الخد الآخر يا مايا.. وبإمكانك أن تصفعيني ثانية، ولكنني أحذرك بأنك ستثيرين الشيطان من أعماقي لو فعلتي.

وادار لها وجهه بسخرية، ومررت نظرها بجنون صعوداً ونزولاً بذلك الوجه القاسي بخطوطه العميقة. إنه وجه روماني بشكل لا يصدق، وكأنه محفور في البرونز... واحد من تلك النقود المعدنية من المعابد القديمة فيه صفة غامضة.. وعندما لم تتكلم خفض صوته حتى أصبح همساً في أذنها.

ـ من عادة الشيطان أن يزور حواء في حديقتها.. معي تستطيعين قول الحقيقة المؤلمة.. وليس عليك أن تراعي مشاعري بكذبة رقيقة.

ـ ظننت أنك تهددني وأنت الآن تتحدث عن الإغواء.

ـ فكرة إغوائك يا مايا خطرة أكثر من التهديد. أتساءل ما إذا كنت تدركين تماماً ما لجوّ القداسة حولك من تأثير في الرجل؟

ـ ربما سيروق لك سيد دونللي أن تمرغ أمثالي في الوحل. فهل هذا يرضي اندفاعك للانتقام، أن تجعلني أبدو رخيصة؟ اهذا ما تأمل بأن تفعله؟ سأغرق نفسي في البحر قبل أن يحصل هذا.. لن تجرني إلى الأسفل!

ـ الموت ليس سهلاً يا حلوتي.. وأتكلم عن خبرة لرؤيتي الرجال ينجون من إصاباتهم كما لن تتصوري أبداً.

ـ ولكن الغرق في البحر شيء مختلف.

ـ ربما لشخص لا يعرف السباحة. وأنا أعرف أنك تجيدين السباحة لأنني شاهدتك في بركة سباحة فندق «برج الشمس»، ولكن عندما يغرق الناس في البحر، يكون هناك عادة سبب جيد، مثل قرش مفترس.

ـ يا إلهي.. وهل أنت مجبر أن تكون دقيق التصوير؟

ـ أجل، إذا كان عليّ أن أبرهن لك أن الموت صعب كالحياة، ومؤلم أكثر عادة. لقد راقبتك خلال الأسبوع الذي أقمت به في فندقي. فتاة ناعمة محافظة، سيدة صغيرة رعتها غلوريا آرثر لتصبح الزوجة الرائعة لابن عضو في مجلس الشيوخ. كم كانت حياتي مختلفة، فانا قد بدأت حياتي أغسل الصحون، ثم في الطبخ، وتحضير الموائد، ثم خدمة الزبائن.. وأنا لست نادماً أو خجلاً من عملي.. لأنني في النهاية حققت ما أطمح إليه.. ما عدا شيء واحد.

وابتسم لها بحركة مختصرة من فمه، ثم تابع:

ـ على الطاولة في هذه الغرفة الصغيرة الساحرة أرى وعاء قهوة.

هل هناك فرصة بأن يكون ساخناً، وهل لي أن أرجوك لتقديم فنجان لي؟

ـ أنت لا ترجو من أجل شيء أبداً..

وأدركت أنها لو وافقت على تقديم القهوة له فسيفلتها من سجنها في سوطه. وبدا لها أيضاً أن غلوريا سوف تظهر قريباً.. وإذا كان لهذه المواجهة مع براد دونللي أن تستمر، فمن الأفضل أن لا تجدها غلوريا هكذا.. مربوطة بين يديه.

ـ حسن جداً.. سأقدم لك القهوة إذا تركتني..

ـ صفقة عادلة...

واحست بيده على ذراعها العاري وهو يفك السوط من حولها. وأسرعت بالهرب إلى داخل الغرفة، ولكن ليس بسرعة كافية لأن تصفق الباب في وجهه، وبسرعة وصمت لحق بها.

ـ سأدق الجرس ليحضروا لك فنجاناً.

ـ لا أمانع في أن أشرب من فنجانك يا مايا... لقد شربت من برك موحلة من قبل.. صبي لي القهوة.. ملعقة واحدة من السكر.

وارتشف من قهوته، وسار نحو المدفأة، وأخذ ينظر حوله في المكتبة، ثم حدّق بصورة فتاة شعرها ذهبي فاتح يتدلى فوق كتفيها ذات عينين رائعتين بلون الذهب أيضاً.

ـ إنها جميلة.. رائعة حقاً.. إنها من رسم جورج رومني، منذ زمن قديم...

ـ غلوريا... عرابتي اشترتها لهذا السبب.. لقد كانت في اوروبا ورأتها.. أظن أنها أصلية وليست نسخة تقليد.

ـ إنها تبدو أصلية، عيناها تشبهان عينيك سنيّورا. إن لديها نظرة مخبأة، ومع ذلك يتساءل من ينظر إليها عن الأفكار التي تجول في هذا الرأس الجميل.. في هذا السن، اكان شعرك بهذا الطول؟

ـ أجل.. ولكنني أفضله قصيراً لركوب الخيل أو السباحة أو في النزهات في حقل الغولف مع باد. فالشعر الطويل يصبح مبعثراً في الهواء.

ـ ولكنه يشكل فوضى جذابة.. أنت لا زلت صغيرة، فلماذا تهتمين لو أن شعرك تطاير بفعل الهواء؟ ذلك يشبه شعر جواد عربي، لديّ فرس مماثل، وأنا أدرّبها الآن للفصل القادم من السباق... يوماً ما عليك ان تأتي عندي وتركبيها.

ـ لا أظن من الحكمة فعل هذا سيد دونللي..

ـ التعقل والحكمة في مثل سنك؟ هذه فضائل تأتي مع التقدم في العمر، وعندما تكونين في خريف عمرك، ستنظرين إلى الخلف بحزن لأنك لم تستخدمي ربيعك كما تفعل الطيور والنحل.

ـ أنت حقاً الشيطان في الجنة.. ألست هكذا؟ هل إغواء النساء تمضية للوقت عندك؟

ـ لماذا يُنظر إلى الرجال من دم لاتيني على أنهم خطرون على الجنس الآخر أكثر من الرجال من السلالة الشمالية؟ أحياناً يبدو لي أن سيزار بورجيا وفالنتينو أساءا إلى سمعتنا، لأننا يفترض الان أن لا نكون أهل للثقة بدمنا الحار. ولكن الحقيقة آنسة كولين، أنني أجد ما أعجب به غالباً في جياد السباق عندي أكثر مما أجده في النساء عموماً. جواد مؤهل يكون عادة أنيق وناعم وسريع وأخلاقه جميلة. ومثل هذا المخلوق لا يطلب سوى مرقد من التبن النظيف، أو جزرة او تفاحة، وبعض الجري في الهواء المنعش، وعاطفة حقيقية. وانظري إلى مطالب المرأة من الرجل، إنها تطلب حريته، اعتناؤه الكامل بها، ومعظم ما يكسبه من مال، وماذا تعطيه في المقابل.. هه؟ إما أن تصبح سمينة ومتجهمة الوجه، أو أن تميل نحو عمل الخير وتصبح بائعة اعلام وبطاقات، والثياب القديمة لأصدقائهما...

تمضية وقتي هو في عملي، مع جيادي، ورحلات صيد في بعض الأحيان.. لسمك الباراكودا.

ولم تصدّق للحظة واحدة أنه لا يحب النساء كثيراً. إنه شخص مثير للقلق، وتمنت لو أنه يودعها ويركب جواده منصرفاً قبل أن تحضر غلوريا...

ـ أنا متأكدة أن لديك عمل تقوم به سيد دونللي.. فأنت لست من النوع الذي يتهاون في سلطته، بعد أن بنيت فندق «برج الشمس» بكل فخر.

ـ إن فيه شيء ما.. أليس كذلك؟ شرفاته البيضاء، نوافذه البراقة، المرتفعة أمام الشمس.. لدينا مثل إيطالي يقول إنك إذا كنت تهتم كثيراً بشيء، فعامله دون اهتمام حتى لا تنتبه آلهة الشر إليه.

كان من المستحيل تجنب نظرته وهو يتكلم، فلعينيه الرماديتين قوة فولاذية جذبت عينيها إليهما رغماً عنها.

ـ أرجوك أن تذهب الآن... اذهب!

ـ ثاري لم ينتهي بعد.. تفهمين كما أعتقد؟

ـ أتعني أنك ستثار مني لأنني...

وتوقفت عن الكلام عندما سمعت صوت حذاء عالي الكعب على الأرضية الخشبية خلف باب المكتبة، ونقلت نظرها بجنون من وجه براد دونللي إلى الباب الذي على وشك أن يفتح.

ـ إنها عرابتي.

ودخلت الغرفة سيدة متوسطة العمر، وقد جعلها الكعب العالي لحذاءها طويلة، كانت ترتدي ثوباً ثميناً من الحرير، وكل شعرة في رأسها في مكانها الصحيح. ملامحها ضخمة مما جعلها أنيقة أكثر الآن، ولكن في شبابها، عندما كانت أنحف، لم تكن تعتبر جميلة. ويقول من هم من جيلها إنها اجتذبت الثري مارك آرثر بسيطرتها فقط،

لأنه رجل كان يريد من يدير له حياته. ولقد نجحت غلوريا في هذا المجال تماماً.

ووقف براد دونللي ينظر إليها، وعيناه جامدتان وكأنهما فولاذ حقيقي. وشعرت مايا برغبة في الهرب نحو الحديقة، وان لا تكون طرفاً في الشجار القادم بين اثنين من أكثر الناس سيطرة.

وردت غلوريا آرثر على نظرته بالمثل، ثم رفعت حاجبيها وقالت:

ـ هل التقينا من قبل؟

ـ على الإطلاق..

وبدا صوته ناعماً وخطراً وبارداً كالثلج، ومررت غلوريا نظرها عليه ثم قالت:

ـ أي زائر لهذا المنزل يبلغ عن وجوده لي عند الأبواب.

والتفتت إلى مايا.

ـ من هو؟

وأجبرت مايا نفسها أن تتكلم بهدوء وقامت بالتقديم..

ـ سيد دونللي.. لقد قابلته في النادي الأسبوع الفائت.

ـ هل أنت عضو جديد سيد دونللي؟

ـ لم يتسنى لي شرف الانتماء إلى النوادي المختارة أو الجماعات الماسونية.. لدي مصالح معهم وهذا آخر اهتماماتي..

ـ حقاً؟ وهل لي أن اسأل عن سبب اهتمامك بالمجيء إلى منزلي دون دعوة؟ أنا متفاهمة مع ابنتي أن تعرفني بأصدقائها لأستطيع الموافقة عليهم أو لا.. وهذا نوع من الاختيار اقوم به لصالحها. فهي لا تحسن الحكم على الناس...

ـ على الرجال...

ـ أجل على الرجال بشكل خاص.. وما هو نوع عملك، هل استطيع أن أسألك؟

ـ أنا أدير فندقاً ومطعماً، من بين أشياء أخرى سيدة آرثر.

وبوضوح، التقطت أنفاسها، ونظرت إلى مايا نظرة حادة. ولاحظ براد تلك النظرة، وأردف بصوت فيه رنة ساخرة:

ـ أنت والآنسة كولين، أقمتما في فندقي منذ عدة أسابيع في لاس بالماس، إذا كنتي تذكرين. أنا ليس عندي قاعدة لاختيار ضيوفي من بين لائحة خاصة، ولكن الفكرة لها سحرها.

ووميضت في عينيّ غلوريا نظرة عدائية، فلم يجرؤ أحد من قبل أن يسخر منها.

ـ وهل دعتك ابنتي بالعرابة الى هذا المنزل؟ ام كان عندك الوقاحة اللازمة لاقتحام طريقك إلى هنا؟

ـ أنا أكيد أنك تعرفين جيداً سيدة آرثر أن ابنتك مدربة على رغباتك، ولا تجرؤ على عدم طاعتك. لذا عليك أن تستنتجي أنني اقتحمت أبواب المنزل.

واخذ يحدّق حوله إلى أن استقر نظره على لوحة رومني.

ـ إنها غرفة ساحرة، وقد تفقد بريقها دون هذه اللوحة فوق المدفأة. هل تحبين الافتراق عنها؟

وأسرعت غلوريا إلى الجرس ودقته بغضب وقالت:

ـ سيريك الخادم طريق الخروج، ولا حاجة لأن أضيف أنك غير مرحب به هنا مرة ثانية.

ـ أؤمن بفلسفة أن الافعال أفضل من الأقوال. فالسنوات لا تؤثر على الناس كما تفعل بالأشجار والمنازل القديمة. وساتانيتا لها سحرها الخاص، وخاصة أن قضبانها الحديدية غير منظورة.

واستدار إلى مايا، ولم يتكلم فوراً، وأوما برأسه قائلاً:

ـ ربما سنلتقي في سانتا لوسيا في موسم السباق.. لا تخجلي من البحث عني لسؤالي عن الرابح.. فلدي خبرة بالجياد الجيدة...

www.elromancia.com

واتجه نحو باب الحديقة، وهناك ودّع غلوريا بإشارة من السوط في يده، ثم خرج، وفك جواده من الشجرة وقفز إلى السرج بسهولة الخبير. وسار عبر الطريق التي أتى منها.. واستدارت غلوريا تنظر إلى مايا بغضب وفضول حاد قائلة:

- لماذا لم تستدعي هادسن والكلاب لمطاردته إلى الخارج؟ أنت لم تشجعي هذا الرجل.. هل فعلتي؟ هو من النوع الذي يستغل سيدة لوحدها. ولقد جعلتك سيدة يا مايا، ولن يأتي أفاق لاتيني بحديثه المعسول وأفكاره الرومانسية ويخرب حياتك. إذا كان قد تقرب منك في حفلة النادي فلماذا لم تقولي لي شيئاً عنه؟

- أنا.. لم أظن أن الأمر مهم...

- وهذا ليس صحيحاً، أليس كذلك؟ ألسنا صريحتان مع بعضنا دائماً؟. ألا تعرفين أنك في مركز مرموق كابنتي ووريثتي؟ هذا الرجل لا بد أنه محتال من مجرد النظر إليه. وكان عليك أن تقولي لي على الفور إنه تجرأ وتقرب منك في حفلة النادي.. هل أخبرتي باد؟ هل يعلم بالامر؟

- اجل لقد رآه.. ولكنني حقيقة صرفته من فكري.. غلوريا..

- إذاً كيف أتى إلى هنا، يركب جواده وكأنه يعرف المكان جيداً؟ لا بد أنه اتى إلى هنا عبر الشاطىء، وعليّ أن أسد هذا الممر بالأسلاك الشائكة...

- أرجوك يا غلوريا.. لا.. سأشعر وكأنني سجينة تماماً إذا لم أركب الجواد إلى الشاطىء.. لا أعلم كيف عرف بأمر الممر، ولكنه لن يعود ثانية.. لقد عرف بأنه غير مرحب به..

- بالطبع! من الواضح أن الرجل كان يراقبك، وأشعر أن عليّ أن اقول للمفوض فيلدز.. يا إلهي.. لا نريد أن يحدث اختطاف!

- غلوريا! عزيزتي غلوريا، لو أن هذا الرجل يخطط لاختطافي لما

أتى الى هنا ليظهر لنا وجهه.. لا بد أنه كان يحاول أن يتعرف عليّ..

وارتجفت غلوريا آرثر بشكل ظاهر، وأعطت تعليمات للخادم الواقف بالباب أن لا يدع رجلاً باسم دونللي يدخل المنزل.

- واجلب لها بعض القهوة الساخنة.

- حاضر سيدتي..

- ستدور بعض الأقاويل الآن في المطبخ.

وأخذت غلوريا تذرع الغرفة، على وجهها نظرة مأساوية، ولم تستطع مايا أن تعرف إذا كانت المأساوية شعور حقيقي لدى غلوريا، التي تبدو بأنها دائماً تقود حياتها وحياة غيرها بنجاح.

- يا طفلتي العزيزة الوحيدة، لطالما أردت لك الأفضل، وهذا لا يعني مقامر لاتيني يدير مطعماً. أنت وريثتي قانونياً، والقاضي ماندرز هو من أتم الإجراءات، وإذا حاول هذا الرجل التحرش بك، فسأرسله إلى السجن. فعندي النفوذ، وأنت تعرفين هذا.. أليس كذلك؟

- أجل.. غلوريا.. ولكنك تبالغين بالقصة كلها.. أؤكد لك. كونه إيطالي لا يعني أنه من عصابات المافيا..

- لا يستطيع أحد أن يعرف.. لا يستطيع أحد أن يكون واثقاً. ولكنه مقامر، لقد سمعتيه يذكر ميدان سباق سانتا لوتسيا، وقدرته على اختيار الحصان الرابح.. مايا كيف تجرؤين على مجرد التحدث مع مثل هذا الرجل؟ ألم أعلّمك كيف تتصرفين مع الناس الذين ليسوا من طبقتنا؟

- أجل.. من المفترض أن أقابلهم ببرود.

- هكذا بالضبط.. أتمنى أن لا أضطر إلى مواجهة احتمال مخيف بأن تخذليني.. ليس بعد كل ما فعلته معك، والطريقة التي رعيتك بها. لقد اهتممت بك يا مايا، كنت لي الطفلة التي لم أستطع

www.elromancia.com

إنجابها. وجعلتيني أشعر بالفخر لأنك كبرت وأصبحت بهذا الجمال... هذا هو الأمر طبعاً! يرى رجل كل هذا الجمال، إما أن يتعثر بقدميه أو يمد يديه طمعاً.. وهذا الأفاق مد يده، وسأقاضيه، وأضعه في زنزانة قبل أن يستطيع لمسك!

ـ أرجوك لا تقولي هذه الأشياء.. لا ضرورة لها.

ـ لا ضرورة لها؟ أتعلمين كيف وقع والدك بالمشاكل؟ لا بد أنك تعرفين أنه تورط مع رجال مثل هذا.. ولن أقف أتفرج للحظة.. هل تسمعيني؟ موريس. الغبي تُم إفلاسه بسبب مثل هذه العلاقة، ولن أسمح لشيء مماثل أن يحدث لك. وأنا امنعك من رؤيته ثانية، وإذا تجرأ على الاقتراب منك، فعليك إخباري وسأوقفه عند حده، هل هذا واضح يا مايا؟

ـ أجل..

وسرت رعشة في جسد مايا، وشعرت بأن كتلة من الثلج قد تجمعت فوق معدتها. غلوريا آرثر تملك ثراء كبير وأصدقاء في مراكز عالية، وليس هناك أدنى شك بأنها تستطيع أن تسبب المشاكل لكل من يهدد الحياة التي خططتها لمحميتها. لقد صرفت الوقت والمال والاهتمام على الطفلة التي رماها موريس كولين إلى الشيطان، وعرفان مايا بالجميل يظلله شعورها بأنها خسرت حريتها، وكما قال براد دونللي، مسجونة في قصر قضبانه الحديدية غير مرئية.

ولكن قلبها كان يشعر بهذه القضبان... فقلبها مسجون بالتأكيد ضمن هذه القضبان الحديدية...

ـ لن تشاهدي هذا.. مدير الفندق هذا أبداً ثانية. وستعديني وإلا ستلازمين هذا البيت، في غرفتك.

ـ لم أطلب منه القدوم إلى هنا، فلماذا تعامليني كطفلة ذات نزوات؟

ـ لا بد أنك أعطيته إشارة ما، بعض الإشارات عن الاهتمام.

ـ ولكنني لم أفعل!

ـ الرجال يلتقطون الإشارات التقاطاً، والفتيات لا يدركن دائماً أنهن قمن بها.

ـ غلوريا، أنا لم أقم بإشارات لأي رجل أبداً.. حتى باد. وأنا لست عابثة وأنت تعرفين هذا!

ـ أنا أعرف والدك، والغرائز في الدم أقوى من الواقع. أتدرين ماذا حدث له، لقد خسر حياته في المقامرة والمضاربة في البورصة، وعاش مخموراً إلى أن أنهى حياته بنفسه. كان يهتم بك على الرغم من تصرفاته. ولكنه كان ضعيف يا مايا، ولا أريدك أن تكوني مثله.. وسأتخذ خطوات مناسبة لمنع هذا.

وفتح باب المكتبة ودخلت خادمة تحمل صينية القهوة وعليها طبق من البسكوت الطازج الذي تحبه غلوريا فوق غطاء أبيض على طبق من البورسلان الصيني الفاخر. ووضعت الخادمة الصينية على الطاولة، وأحست مايا ثانية بوخز عينيها المتسائلتين. لقد كان من النادر أن تتجادل هي وغلوريا، الخدم قد عرفوا أن رجلاً أسمر غريب قد ظهر في المنزل، وسيستنتجون أنه موضوع جدالهما.

ـ هذا كل شيء يا ليليان.. سأصب القهوة بنفسي.. أوه وقولي لنورويش إنني اطلب السيارة عند الدرج عند العاشرة والنصف عليّ الذهاب إلى البلدة.

ـ حاضر يا سيدتي..

واقفلت الخادمة الباب بعناية، وازداد توتر الجو في الغرفة بإشارة غلوريا إلى حاجتها للسيارة. فهي تمضي عادة ساعة في غرفة النباتات قبل أن تذهب الى مواعيدها في البلدة. وبدا في إعلانها عن خروجها نوع من التهديد.

وسألتها غلوريا وهي تصب القهوة في فنجانها.

ـ هل تتناولين فنجاناً؟

ـ لا شكراً.. لقد تناولت واحداً. هل أستطيع أن آتي معك إلى البلدة يا غلوريا؟ أريد أن أرى إذا كان حذاء الركوب قد أصبح جاهزاً. يجب أن يكون جاهزاً للصيد يوم الخميس.

ـ أجل.. سأذهب إلى البلدة لرؤية مايك كاسيدي. وسأطلب منه أن يقوم بتحقيقات حول هذا الشخص المغامر. وإذا كان هناك أي شيء مقلق حوله يستطيع مايك استخدامه فعلاً، فسأجبره على التوقف عن مضايقتك ثانية. لقد ربيتك وأعددتك لزواج رائع مع واحد من أفضل الشبان في هذه المقاطعة، ولن اترك خططي يتهددها أي إنسان على الإطلاق، هل تظنيني حمقاء يا مايا؟ ألا تظنين أنني أعرف بأنك لا تحبين باد؟ ولكن ما هو الحب؟ الحب! إنه كالوقوع بين فكي نمر أو قرش. وقد يمزقك هذا إلى قطع. ويحطم قلبك.. ثقي بكلامي!.

ـ أنا لن أفعل شيئاً عن عمد لأذية باد أو أذيتك. أرجوك لا تذهبي لرؤية السيد كاسدي.. لا حاجة لذلك، لقد تكلمت عن النمور والقرش. بعض الرجال هم هكذا، لو حاولت إزعاجهم أو التساؤل عن قواهم، فسينقلبون ضدك. لا تفعلي هذا يا غلوريا! أتوسل إليك!

لم تكن مايا واثقة من شيء أكثر من ثقتها بأن غلوريا لو تحدث براد دونللي فسينقلب إلى شخص خطر جداً. فقد كان هذا باديا من شكل جسده، وفي عينيه... سيقترب منها ويجعلها تحس بملامسته لها... ولكنه لن يغرز تلك الأسنان الخطرة ويريق دمها.. إلا إذا أجبره أحد أن يأخذ موقف الدفاع عن النفس. وأخذت مايا تتوسل إليها:

ـ لننسه... لماذا محاولة التحرش بهذا الرجل؟ وكما قلتي بنفسك يا غلوريا، إنه نوع مفترس والأفضل تجنبه.

ـ إذاً فهو يخيفك؟

ـ ليس بالضبط... لقد غضبت لأنه تجرأ واستخدم الممر الخاص بي، ولا أرغب في رؤية وجهه المتعجرف ثانية. وهو يعرف يا غلوريا كيف أشعر نحوه.

ـ حسن جداً لن أبحث مع مايك كاسيدي هذا الموضوع. ولكن التحذير لا يزال قائماً يا مايا. أريد أن يتم هذا الزواج بينك وبين باد.. سيكون له فوائد من عدة طرق، وسيضع الختم النهائي لقبولك في المجتمع. أنت فتاة جذابة غير عادية. وخلال سنوات قليلة ستكونين واحدة من أفضل النساء في باسادينا، وستكونين قادرة على التأثير على باد ليتبع خطى السيناتور دينغول في عالم السياسة. فمن يعلم؟ في نظامنا الديمقراطي هذا كل شيء ممكن.

وسمعت مايا كل ما قالته دون أن تعيه... فمشاعرها الرئيسية كانت مرتاحة في العمق لأن غلوريا لم تستدعي «كلاب الصيد» لمطاردة النمر.

ـ بينما يحضر نورويش السيارة، الأفضل أن تستخدميها لتري إذا كان حذاء الركوب قد أصبح جاهزاً.. وأنا مسرورة لأنك تذهبين إلى الصيد يا مايا. فهذا يناسبك..

وصبت غلوريا كوباً آخر من القهوة، وتفحصت مايا من رأسها الى أخمص قدميها. ثم تمتمت:

ـ يا قطتي الصغيرة.. أنت لا تشبهيني.. فأنت تعانين الكثير من الرعب مما لم أشعر به في حياتي. وبطريقة ما أحسدك على طبيعتك الحساسة. ومع ذلك أشعر بالسعادة لأنني أقوى وأصلب. فالدنيا كالغابة، وباد سيكون حارساً يعتمد عليه. لذا كوني حذرة، ولا تشعري بأنك على وشك الانفجار، إنك فتاة طيبة.

وشعرت مايا وكأن غلوريا ربتت على رأسها بحنان، فنهضت ثم

انحنت فوقها وقبلتها برقة على خدها..

- شكراً لك..

- على ماذا بالضبط؟

- أوه.. لكونك لطيفة معي... لم يكن أي انسان ليعتني بطفلة مثلي.. عندها أهل مجرمون.

- موريس لم يكن مجرماً، إنه غبي، ولم يكن عنده شجاعة كافية لمواجهة الذين دفعوا به الى العاب لم تكن على مستوى قوته. انسيه يا مايا. ولا تنظري إلى الخلف بل انظري أمامك، إلى اليوم الذي ترتدين فيه الثوب الأبيض، وتملأ أخبارك الصفحات الاجتماعية في الصحف كعروس السنة. الوقت يقترب. وقريباً يجب أن نبدأ التفكير باختيار القماش وإجراء اول قياس لفستانك. وسيكون مناسباً تماماً للألماس، والسيدة دينغول، أشارت إلى أن باد سيشتري الماس «تايلور - براندون» التي ستعرضها محلات تيفاني للبيع. وسوف تتألقين في ذلك اليوم.. ألا يجعل التفكير في هذا قلبك يخفق..

- أنا ذاهبة الآن.. وداعاً غلوريا!

وأخذت معطفاً عن التعليقة في الردهة وخرجت إلى السيارة المكشوفة. وقالت للسائق:

- سأستخدم السيارة بدلاً من السيدة آرثر.. أرجوك أن تقودها بسرعة كبيرة يا نورويش.. أريد أن احس بالريح تضرب رأسي..

وابتسم السائق الخبير، وفتح لها الباب فغرقت في المقعد. معظم العاملين هنا يعرفونها منذ صغرها، ويعاملونها على أنها ابنة المنزل دون أي إشارة إلى عكس ذلك. وكانت مايا تعلم بحبهم لها، وإخلاصهم، وما لم تكن تدركه أن نعومتها وشبابها ولطافتها هي التي سهلت لهم محبتها والاهتمام بها في المقابل. وقال نورويش:

- إنه صباح خريف جميل يا آنسة مايا.. هل أذهب إلى البلدة عن طريق الساحل؟

- أجل أرجوك.. إنه افضل موسم عندي في السنة. وكم كنت أتمنى لو أن الزمن يتوقف عنده.

- ولكنه لا يفعل يا آنسة مايا، إنه كالمد، كالنجوم، تلمع ثم يأتي المطر، الدموع. أو السلم والحرب.

واتخذ نورويش مقعده خلف المقود، وقاد السيارة ماراً بالممر المليء بشجر الرمان، بثمارها الذهبية الصدئة اللون ونافورتها المرقطة التي تقود إلى قلب أراضي الأملاك حيث تقبع طيور الأبوزريق في مخابئها، والسناجب الحمراء وبعض الغزلان الصغيرة كأنها متشردة من ديزني لاند.

وكانت مايا تعرف ما هي قيمة حب المنزل، وكان عندها احترام وعاطفة تجاه المرأة التي تشارك ساتانيتا معها... ولكن في هذا اليوم الخريفي، ولد في داخل روحها نوع من الفضول حول تلك القوة الغريبة المرهقة للأعصاب التي تربط في بعض الأحيان المرأة بالرجل.

«ثقي بي دائماً.. أو لا تثقي بي أبداً» هل هذا هو معنى الحب.؟ أن تغوص فيه كالأعمى؟. أن تثق على الرغم من كل شيء؟ مخاطراً بالجسد والروح، في الغوص بسعادة وتهور إلى الأعماق، أعماق الحياة؟.

وانزلقت أطارات السيارة بنعومة على الطريق الساحلية، وهناك على احد جانبي الطريق توجد التلال المليئة بالأدغال المزينة بالذهب واللهب، وإلى البعيد تحتها يساراً يمتد المحيط، يحترق كالفولاذ في نار الشمس، وأعماقه التي لا يسبر غورها، تقع تحت سطحه اللماع.

وجلست مايا بصمت، تحدق خارج النافذة. شاعرةً أنها واقعة في

قبضة الخوف، المثير أيضاً بشكل غريب. النظر إلى المحيط يشبه الغوص في أعماق عينين رماديتين فضيتين.. تغريان وتحتويان على لمحات ماكرة من الضحك... تبتسمان كما يبتسم الشيطان نفسه.

وصرخت في أعماقها بصمت:

ـ اوه.. لا.. اخرج من أفكاري.. دعني وشأني!

☆ ☆ ☆

٣ ـ النمر يصطاد

تدفقت الجياد، وعلى ظهورها الفرسان، وأمامهم كلاب الصيد، عبر الأراضي الريفية، كلوحة زيتية رائعة قد انبعثت إلى الحياة. وكانت مايا كولين في مؤخرة المطاردة، ممسكة بقوة بلجام جوادها القوي الرمادي «مايجور» متعمدة التأخير، مصممة أن لا تكون موجودة عندما تشتم الكلاب رائحة أحد الثعالب.

مايجور كان أحد الأسباب التي تدفعها للخروج إلى الصيد فهو يحب المطاردة، وستترك له الحرية حالما يصبحان على مسافة من الجياد الأخرى، ليتمكن من الجري بخط مستقيم في اتجاه آخر، وستدّعي فيما بعد أنها لم تلاحظ أنها قد اتّبعت الاتجاه الخاطىء، ولن يهتم أحد، فمايا تعتبر شخصاً مميزاً، نوعاً ما «حالمة».. ولكن جميلة بما فيه الكفاية للتجاوز عن هفواتها.

وحانت الفرصة أمام مايا، لتنفصل عن المطاردة، وهكذا فعلت وهي تبتسم، فأدارت مايجور في اتجاه آخر، وتركت له الفرصة

www.elromancia.com

لإطلاق طاقة عضلاته، في جري طويل واثب. وومضت في عينيها لمحة سريعة من الارتياح.

كانت تعلم أن باد سيكون على ظهر جواده مع المشرف على كلاب الصيد في المقدمة، وبأنه سيكون ناسياً أنها مشاركة في الصيد، كما يفترض. فيما بعد سيسألها عرضياً إذا كانت قد تمتعت، وستتمكن من الرد عليه عن حق بأنها أحبت هذه الرحلة.

كان الصمت يسود المكان، ما عدا صوت وقع حوافر مايجور، ودوى في ذلك الصمت صوت بوق الصيد، وخفق قلبها، وصرخت بمايجور «اذهب!»، وانطلق باقصى سرعته، راكضاً عبر الأشجار الطويلة، التي منعت اي ضجيج قد ينبعث من التلال حولها، حيث وقع ثعلب ضحية المطاردة هناك، ولا بد أنه قد بدأ يتمزق الآن. وأعمى الغضب والشفقة بصرها بحيث أنها لم تلاحظ أن بوابة مرتفعة تسد طريقها، وعندما جمع مايجور قوة عضلاته وقفز من فوق البوابة، كانت مايا غير مستعدة لهذه القفزة الفجائية، وأفلتت اللجام من يدها بسرعة وقد أحست بانها تطير من فوق السرج. وحطت على الأرض فوق كومة من الأغصان وورق الأشجار، ولم تصب بأذى ما عدا ألم بسيط في كوعها الأيمن، ولكنها خافت أن يستمر مايجور بالجري ويتركها، وأطلقت صفرة تشير إليه بالتوقف، ولكن يبدو أن شيئاً قد أجفله فاستمر راكضاً عبر الأشجار تاركاً مايا تحاول الوقوف على قدميها. وقد أمسكت كوعها المصاب بيدها اليسرى.

وصرخت به ثانية «مايجور!» وصفّرت مرة أخرى، ولكنه لم يستجب، وانزعجت من نفسها لوقوعها هذا، ولأن الامر غلطة منها فصرخت «اللعنة!» وضربت الأرض بحذائها..

ـ أعصابك.. تمالكي أعصابك..

واستدارت عندما سمعت الصوت لتجد نفسها تواجه رجلاً طالما تمنت أن لا تراه ثانية...

ـ أنت!..

ـ أنا.. يا سنيوريتا.

وانحنى لها بسخرية، ومرر نظره على شكلها المشعث. ولم تكن مايا في حالة تسمح لها بانتقاء كلماتها، وهي مصدومة وغاضبة.

ـ أنت تطاردني.. وكأنك مثل هذه الكلاب التي تجري وراء الثعلب!

ـ وهل فعلت هذا؟

ـ إنك لم تلوح بعصاك السحرية لتصل إلى هنا، فالسحر لا يوجد إلا في كتب قصص الأطفال، وهكذا فإن الاستنتاج الصحيح هو أنك كنت تتعقبني!

ـ هل أنت واثقة تماماً أنك لا تؤمنين بالسحر؟ أنا أعرف ان الصيد قد بدأ، ولكنني ظننتك في وسط الصيادين مع خطيبك، وانت متشوقة لرؤية الدماء.

ـ انا أكره القتل!

وأخذت تنفض أوراق وأغصان الشجر عن ثيابها، ثم توتر كل عصب فيها عندما أحست بيده تنفض لها سترتها، فصاحت:

ـ لا تفعل هذا.. أستطيع تدبير أمري!

ـ لدي انطباع أن كوعك قد تلقى ضربة مزعجة.

ـ إنها مجرد كدمة، لقد وقعت عن السرج من قبل، وعشت بعدها لأركب ثانية.

وابتعدت عن متناول يده، ورفعت رأسها بكبرياء واعتداد بالنفس، مع خوف خفي استطاعت أن تبعده عن الظهور في عينيها.

ـ إذاً أنت تكرهين رؤية الثعلب تمزقه الكلاب ويراقبها الصيادون الذين يجدون لذتهم في هذا الأمر!

ـ وكيف تجد لذتك أنت؟ في اصطياد النساء؟ هل هن ضحاياك يا سنيور؟

ـ على الأقل إنها رياضة إنسانية أكثر، فالمرأة يسمح لها بالهروب عندما تنتهي اللعبة.

ـ أوه.. ألا تأخذ جلدة رأسهن لتعلّقها على الرف امام فراشك؟

ـ إذاً.. أنت انسانة.. ولست مصنوعة من الجليد الجميل..

وضحك، ثم اتكأ على جذع شجرة، وتابع:

ـ ألم تلاحظي أنك وجوادك تتعديان على أملاك خاصة؟

ـ هراء.. هذه الغابات جزء من أملاك «بنروز» وكانت فارغة ومهجورة منذ وفاة صاحبها «آدم بنروز» منذ عشرات المسنين. لقد عاش هو وزوجته عيشة غريبة، ويقال إنها كانت مجنونة.. لذلك كان صعبا بيع المنزل. وتعتقد غلوريا أن المنزل سيُهدم في النهاية، وأن الارض ستقسم.

ـ غلوريا آرثر امرأة كثيرة الثرثرة. ولكنها بخصوص هذا الأمر لم تنجح في التخمين. «ادمز تشالنج» قد بيع وسيُسكن من جديد، بعد أن تجرى له الإصلاحات الضرورية على يد المالك الجديد.

ـ لا بد أنك تمزح. فالمنزل خرب، ويلزمه رجل عنده إمكانيات ضخمة لإعادته إلى شكله الأصلي، المقامر وحده قد يزعج نفسه بمثل هذه الأملاك.. بالتأكيد؟

عندما وقف ينظر إليها، ويداه في جيوبه، علمت فوراً بأنها تواجه المالك الجديد للقصر الذي بُني منذ نصف قرن مضى.

ـ ألن يستطيع مقاول إصلاحه؟

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ولم تستطع مواجهة واقع أنه سيسكن هناك في «أدامز تشالنج»، وأن يجعل منه منزله... مما يجعله على بعد أميال قليلة من ساتانيتا.

ـ هل ستقوم بجرفه وإعادة بناءه سيد دوناللي؟

ـ أتحبين أن تظني هذا آنسة كولين؟ لست أدري كيف ستنتشر الاشاعات عندما يعرف أسياد باسادينا أن صاحب مطعم إيطالي سوف يسكن بينهم؟ هل سيحاولون إجباري على الهرب، هل تعتقدين هذا، وهل تظنين أن عرابتك ستقود الحملة؟

وتذكرت مايا كيف أنها توسلت لغلوريا حتى لا تجعل من هذا الرجل عدواً لها بأن تدفع محاميها للنبش في حياته الخاصة. وبما أنه الآن امتلك ذلك المنزل، فستعلم غلوريا بالأمر، ولن تستطيع مايا عندها ان تمنعها من محاولة اصطياده. لماذا تشعر غلوريا بأنها مدفوعة لفعل هذا؟ الآن موريس قد ورط نفسه مع عصبة مقامرة من نفس جنسية هذا الرجل؟ أم لأنها ترى فيه تهديداً لمايا وللزواج المرتقب الذي دبرّته بمهارة؟

وانحنت مايا لتلتقط قبعتها، ولأن أعصابها كانت ترتجف، أخذت تنفض جانب بذلتها بقوة لتزيل الأغصان العالقة بها.

ـ يجب أن أمسك بمايجور إذا استطعت.. سأذهب للتفتيش عنه؟ لا بد أنه أصبح أمام المنزل الآن.

ـ سنذهب سوية، وقد تسمحين لي بأن أريك املاكي الجديدة.

ـ لا.. لا أعتقد أن لديّ الوقت الكافي...

ـ لقد تجاوزتي الثامنة عشر.. أليس كذلك؟ ولست مقيدة بعد الآن بعرابتك.. وقد يعجبك المنزل، بعض غرفه جميلة نسبياً، والمكان كله قد يصبح جميلاً بعد ان أصلحه، وسأصلّحه يا مايا. لقد كنت أبحث عن منزل ملائم لي منذ مدة طويلة، وها قد وجدته، ولست

www.elromancia.com

أهتم بما تقوله غلوريا آرثر وزمرتها، أو ما قد يحاولون فعله. لقد خططت أن أجعل من «ادامز تشالنج» منزلاً لي، وفي أي وقت أستطيع فيه التفرغ من أعمالي سأتمتع بكوني صاحب أملاك.

ـ أوه.. إذاً لن تكون هنا طوال الوقت؟

وضحك ضحكة عالية، أجفلت الطيور عن الأشجار فوق رأسيهما، وتساقط بعض الريش من أجنحتها وهي تطير بشكل دائري، مضطربة وكأن نمراً دخل تلك الغابة.

ـ لا أستطيع التكهن إذا كنتِ تكرهيني حقاً، ام أنك تجدينني مثيراً للاهتمام.

ـ لا بد أنك مغرور بنفسك، فلماذا قد أجدك مثيراً للاهتمام؟

ـ لأنني مختلف عن أقرانك يا مايا، ومن عالم مختلف. ولأنني غسلت الصحون في مطابخ المطاعم، ولأنني ولدت أقرب إلى السواد مثلي مثل الشيطان دون أن يكون عندي مواهب.

ـ قد يكون عندك، فكيف أعرف.

وقع اقدامهما كان متجانساً فوق الممر المغطى بالأغصان وأوراق الشجر، كان يسير بلباقة اللاتين دون صوت. إنه مختلف فعلاً عن الناس الذين كبرت في وسطهم... مختلف عن هؤلاء الشبان الذين قد لا يعرفون كيف يضعون صحناً في المغسلة دون تلويث أنفسهم.

غير معقول، أن يكون هذا الرجل الانيق الثياب الذكي، قد أمضى حياته في غسل الصحون، وتقديم الطعام بابتسامة على موائد العشاء، كساقٍ مهذب. التوتر الذي أثارته شخصيته جعلها تريد أن تهرب بعيداً في الغابة لتتخلص من سحره.

أجل إنه يرمي من حوله سحراً كانت خائفة منه. لأن ما كان يبدو منه هو الإثارة السوداء، والتي تقودها، في هذه اللحظات، نحو منزل له أسرار غريبة، اشتراه لنفسه. فلماذا اشتراه؟ ألكي يتحدى أشخاصاً

مثل غلوريا؟ أليعوض عن فقر طفولته؟ أم ليكون قريباً من ساتانيتا، وليقترب منها كما فعل اليوم؟

وعندما انحسرت ظلال الغابة ووصلا إلى جانب بوابة مكسورة وواقعة على جانبها، سمعت مايا صوت لجام وعلمت أن مايجور موجود في مكان قريب. وأسرعت إلى الأمام وهي تنادي باسمه، ووجدته بين أعشاب عالية، وقد ملأت فمه الأعشاب.

ـ ها أنت هنا، أيها الولد السيء!

وأسرعت اليه وقبضت على لجامه، وتقدم براد دونللي منه وأخذ يحدق به متفرساً..

ـ إنه من أصل جيد.. هه.. وهو سريع ايضاً نظراً لعضلاته المصقولة. لا بد أنك راكبة خيل قديرة لتتمكني من السيطرة عليه يا مايا.

ـ أركب الجياد منذ كنت طفلة.. وهو يستطيع الجري كالموج... أليس كذلك أيها الرمادي الأنيق؟

ـ عليكِ أن تتحديني يوماً في سباق... لقد أصلحت حظيرة تمكنني من إيواء حصان أو اثنين هنا.. لقد فكرت أنك بقبعتك من فرو الثعالب هذه تبدين مثل وصيف في القرون الوسطى.

ـ كنت أفضّل يا سنيور أن لا تقول اشياء كهذه.

وتسارعت نبضاتها، وأصبحت ميالة لأن تعتلي صهوة مايجور وتنطلق كالريح، وكأنما أحس بنبضات جسدها. فتقدم وأمسك بلجام الجواد وربطه إلى شجرة قريبة.

ـ هل يكون الأمر مختلفاً لو كنت من أفراد المجتمع الراقي؟

ورفع يده إلى أنف الجواد وأخذ مايجور يتشممها، ونظرت إليه مايا مستغربة، فليس من عادة الجواد أن يرتاح لوجود غريب.

ـ ماذا تعني.. مختلف؟

ـ أن أكون مقبولاً.. أن أتمكن من إطرائك دون أن يبدو عليك الذعر.

ـ لست مذعورة.. ولماذا أكون؟

ـ لأننا لوحدنا يا مايا. لأننا رجل وامرأة.. أوه... ليذهب الماس الذي في يدك إلى الجحيم.. إذا كنت ستقولين لي أنك ستتزوجين قريباً..

ـ ولكن هذا صحيح... أنا.. أنا لا أمانع أن نكون أصدقاء، إذا رغبت في هذا.

ـ آه.. كم هذا تنازل من الأميرة!.

ـ أرجوك.. مجرد أصدقاء.

ـ ولكن لا يبدو علينا أننا أعداء يا مايا.

ـ قد أكره أن أكون على عداء معك.

ـ يا لهذا الاعتراف.. وقد خرج منك دون مساعدة أو إجبار.

ـ هناك شيء من فضولية القرون الوسطى فيك يا سنيور.

ـ أهي ظلال من سيزار بورجيا والساحر كاغليوسترو.. هه؟

ـ أوه.. اجل.. أنت نوعاً ما ساحر.. ألست كذلك؟

ـ أتعنين بسبب أنني صعدت من الصحون إلى أصحاب الثروات، في مدى عشرين سنة؟

ـ صحيح.. فأنت لا تدع شيئاً يقف في طريقك.. لقد كنت تقصد أن تصبح جزءاً من... من عالمي... لذلك اشتريت هذا المكان.

واستدارت لتنظر إلى المنزل، الذي طال هجرانه، وأصبح متداعياً.. كانت جدرانه منقوشة بما يشبه انتشار مرض الجدري. درجاته نما عليها العشب المتسلق والعشب البري المتسلق على الأشجار العتيقة من حوله.

ومع ذلك.. فقد كانت مايا حساسة جداً، وخيالية جداً، حتى انها

استطاعت أن ترى، أنه رغم إهماله وقدمه، فإن «آدامز تشالنج» فيه نوع غريب من السحر.

ـ لا.. ليس لديّ الرغبة في أن أكون جزءاً من عالمك. ولكن تعالي معي وكوني جزءاً من عالمي لفترة قصيرة.

ـ عليّ العودة إلى المنزل حقاً...

ولكنها كانت متشوقة لرؤية داخل المنزل، وبدا ذلك على وجهها.

ـ إذاً.. اذهبي.

لم يكن سيحاول أن يقنعها أو يجبرها على دخول المنزل معه. وتقدم نحو الدرجات، وأخرج من جيبه رزمة مفاتيح، ولكنه لم يفتح الباب، إلى جانب الباب، وعلى الجدار كان هناك بوق قديم الطراز، مثل الأبواق التي تعلق عادة على أبواب القصور الإنكليزية، وأمسكه من سلسلته، ونفخ به، وللصوت العظيم الراعد توقعت مايا أن تقبل كلاب الصيد من جهنم راكضة نحوهم.

وضحكت بشكل غير متوقع.. ولحقت به.

ـ حسناً جداً، قد أرغب في جولة للتفرج عليه سيد دونللي... لقد أثرت فضولي.. ولكن لن أستطيع البقاء طويلاً.. هل ستغير الاسم.. إنه يعني «تحدي آدم» التحدي يليق بك ولكن آدم..

ـ إنه ليس غريباً بما فيه الكفاية هه؟ أستطيع القول ان منزلي سيسمى قانونياً وعن قريب باسم «ڤيللا مفيستو».

ـ لا أعني شيئاً كهذا... أعني أن اسم ادم لا يليق بك. فأنت لا تدع أحداً يخدعك، حتى ولا امرأة.

ـ الرجال خلقوا ليتم إغواءهم يا مايا. وإلا لما حدثت تلك المأساة الصغيرة في جنة عدن.

وفتح دفتي الباب الطويلتين وهو يتحدث، وبدت أمامهما الردهة، وترددت مايا قليلاً.. وشعرت بكراهية للدخول، ولكنها شعرت أيضاً

بأن القدر هو الآن في أعقابها.

ـ هل ستسكن هنا بمفردك.. ام أن عندك...

ـ أنا لست متزوجاً.

وأغلق الباب وهي تتبعه الى الداخل، وانتشرت الكآبة والغبار من حولهما. ثم أضاف.

ـ ولكن هل كنت تتساءلين ما إذا كان عندي رفيقة؟

ـ كنت أتساءل فقط...

وضحك ضحكة قصيرة جافة، ثم سار نحو خزانة جانبية ضخمة من الخشب، كانت غير مغطاة تماماً بالقماش الواقي من الغبار. وكان عليها بضع شمعات أضاءها بولاعته. إحدى هذه الشمعات اشتعلت بنور ازرق، وحدّقت مايا بها ثم نظرت حولها في الردهة المرتفعة إلى الأعلى نحو الممرات على جانبيها ثم إلى الظلمة فوقها.

ـ خذي شمعة منها لأن النوافذ لا تزال مغلقة في معظم الغرف.

تلاعب لهب الشمعة جعل وجهه يبدو أعمق، وصوته العميق كاد يبدد الألسنة المضيئة للشمعة وهو يمد يده يعطيها حمالة الشمعة. واخذتها ثم تبعته إلى غرفة ضخمة مقوسة المدخل.

ـ أنوي استخدام هذه كغرفة طعام، والأخرى المماثلة لها كغرفة جلوس.

وخطت مايا إلى الغرفة، وتناثر الغبار من السجاد تحت قدميها فعطست...

ـ بارك الله أمك. كما يقولون في ايطاليا.

ولحقت به عبر البوابة المزدوجة إلى غرفة أخرى حيث المفروشات مغطاة بقماش لوقايتها من الغبار وبدت وكأنها مفروشة بالأشباح، وكان فيها رائحة غريبة، والمرآة الطويلة كانت مقلوبة نحو الجدار... فهمست مايا:

ـ من فعل هذا يا ترى؟

ـ شخص ما لديه أسباب ليخاف من العواصف.. عائلة بنروز لم تكن أميركية، ويقال إنها أتت أصلاً من أطراف الجزيرة البريطانية وحدث شيء مأساوي لابنتهم مما جعل والدتها تجن.. تعالي.. أظن أنني وجدت الأبسة عندما أتيت هنا في المرة السابقة، في إحدى الغرف فوق.

وكزوج من المتآمرين، صعدا السلالم، التي تستدير نحو الممرات العليا، المكسوة بالخشب الأسود الممتاز، والتي ستصبح لماعة مثل الأبنوس عندما تنظف وتلمّع. وصعد براد دونللي السلالم وكانه القط البري، وأحست مايا بالارتجاف في ساقيها مدركة أنها لوحدها معه في منزل كبير معتم، وزنار من الأشجار يحيط به ليجعله هادئاً ومنعزلاً تماماً. لم يكن أحد يعرف أنها هنا، وقد يكون الصيد الآن قد انتهى، والصيادون عائدون إلى المنزل لتناول الشاي، وسوف يبحث عنها باد ولن يجدها، وطوال الوقت هي هنا مع الرجل الذي قرر باد وغلوريا أنه غريب، شخص قيل لها أن تبتعد عنه.

وفتح أحد الأبواب، وأضاءت الشمعتين جزء من غرفة نوم، وتركت الأجزاء الاخرى في الظل. وسار نحو المدفأة، وحرّك شمعته حول لوحة فوقها. كانت اللوحة لفتاة تركض، وفستانها يطير، وللثوب ياقة منخفضة تركت كتفيها مكشوفين، وشعرها الأصفر مرفوع عن جبهتها ومربوط بمنديل... كان هناك شيء متطرف في الصورة والفتاة... شيء بدائي وغريب.

ـ يقال إنها كانت تنظر الى المرآة عندما ضربت صاعقة الغرفة فجأة، وكسرت المرآة. وانطلقت شظية زجاج إلى عنقها، قطعت الشريان الرئيسي تحت جلدها. ووجدها أهلها ميتة عندما عادا من

حضور مسرحية رغبت الأم في مشاهدتها. لقد حدث هذا منذ زمن بعيد، قبل أن يأتيا إلى اميركا ويعيشا في هذا المنزل.

ولم تستطع مايا أن تحوّل نظرها عن اللوحة، وعن النظرة في العينين اللتين لا حياة فيهما.

ـ ألا تخاف من الأشباح سنيور؟

ـ أنا لاتيني.. وأؤمن بها.

ـ إذاً..؟ أتساءل ما كان اسمها يا ترى؟

ـ امارانتا.. الزهرة التي لا تذبل أبداً.

ـ وكيف..؟

ـ أنا لا آخذ شيئاً بالصدفة يا مايا.. المقامر البارع يجد دائماً كل ما يريد معرفته حول اللعبة قبل أن يقرر وضع أمواله.

ـ فهمت.. وهكذا عندما سمعت هذه القصة، مضيت قدماً واشتريت المكان.

ـ أردت أن أشتري منزلاً بناؤه جيد، منزل لا يؤثر به هجره.

ونظر من حوله، وهو يحرك نور الشمعة نحو الجدران الخشبية الجيدة والتي ستصبح لامعة كالبرونز الأسود عندما تلمّع.

ـ رغبت في صفقة، بالطبع، ورغبت في منزل في هذا الجزء من كاليفورنيا، وليس للدخول في مجتمعكم، لذا لا تسيئي فهمي، ولو لم أشتري «آدامز تشالنج» لكان لعرابتك سبب آخر للشكوى.

ـ هذا صحيح... لقد كانت غلوريا مقتنعة بأن شيئاً سيحدث في هذا المنزل، وقد تحدثت مع والد باد بالموضوع.

ـ السيناتور دينغول... هه؟ إنه رجل ذو نفوذ كعم لك...

ـ اجل...

وتقدّمت مايا الى طاولة بالقرب من السرير ذو القوائم الطويلة. ولمست صندوقاً هناك، ورفعت الغطاء، وعلى الفور امتلأت الغرفة

المظلمة بالموسيقى. ولم تعرف مايا النغمة التي كانت في الواقع «رقصة الزهور».

ـ أوه.. علبة موسيقية وهي لا تزال تعمل بعد كل هذه السنين.

ـ لقد عبثت بها منذ أيام. أتصور أن وضع صورة الفتاة مأخوذ من هذه الموسيقى.. يبدو أنها كانت ترقص كثيراً..

ـ لقد افتتنت بها أليس كذلك يا سنيور؟ ألهذا أنت لست خائفاً من شبحها؟

ـ ذكرى شبحها هي التي تطارد هذا المنزل، ولا أظن أنني سأخاف أن تظهر لي فجأة عند السلم، او تجلس في مقابلتي على طاولة الطعام عندما أكون لوحدي، على كل، ستكون زيارتها ساحرة. هه؟

ـ أو ان تدخل راقصة إلى غرفتك على أنغام صندوقها الموسيقي. إنه منزل مثير.. ولكن ألن تحس بعزلته عندما تأتي إلى هنا لترتاح من حياة العمل، وأنت تقوم بدور المضيف لشبحك الفاتن؟ أم أنك تنوي أن تأتي معك بالأصدقاء، شركاء العمل وزوجاتهم؟

ـ وأفتح ابوابي للحشود... وأنا رجل غامض له ماضي... وأقع بالحب، ربما مع فتاة ذات مستوى وهي ملك لشخص آخر؟

ـ عليّ أن أذهب.

وأسرعت نحو الباب حتى أن شمعتها انطفأت. وتقدم نحوها، وسار معها عبر الممر نحو السلم. وعندما بلغا الباحة الخارجية كانت الشمس قد أصبحت حمراء داكنة تحمل لون قدوم الليل.

ـ ما هو العذر الذي ستقوليه لهم. لن تقولي الحقيقة بالطبع.

لن تقولي لعرابتك إنك أمضيت وقتك مع الرجل الذي جرى تحذيره أن لا يظهر وجهه في ساتانيتا. وعندما تعودين إلى المنزل ستتعجبين من جرأتك لبقائك معه لوجدك.

ـ اجل.. هل مرّ بك شخص كان طيباً معك لدرجة أنك لا تحلم

www.elromancia.com

بأن تؤذيه أبداً؟

ـ طبعاً.. والداي.

ـ ألن يعيشا معك هنا؟ إنه منزل كبير.

ـ إنهما يعيشان في ميلانو وسعيدان بالعودة إلى موطنهما، إيطاليا.

ـ فهمت.. أليس لديك أشقاء أو شقيقات؟

ـ يبدو أنك مهتمة بوحدتي؟ شقيقتي لويزا متزوجة من مزارع كوبي ومستقرة هناك. وشقيقتي الأخرى إيزابيلا تعمل ملاك رحمة في أميركا الوسطى.. وهما امرأتان سعيدتان بحياتهما. وتعلمان تماماً أن شقيقهما قادر على العناية بنفسه.

ـ هل هما أصغر منك سيد دونللي؟

ـ بخمس وست سنوات. كل فرد من عائلتنا لديه حلمه الخاص، لذلك لنترك الأمر كما هو. والوحدة شيء نادر. لقد كنت دائماً مشغولاً لأشعر بها. وأؤكد لك أنني لست واحداً من الإيطاليين الذين يحبون العيش مع بعضهم.

ـ إنه يوم غريب لي.. ولم أتوقع أن ينتهي هكذا. أتمنى أن تكون سعيداً في منزلك سنيور.

وقبل أن تستطيع التحرك لتمتطي جوادها مايجور، اقترب منها ووضع كلتا يديه على خصرها ومنعها من الحركة.

ـ لقد كنت تتمنين أن لا نلتقي ثانية أليس كذلك يا مايا؟

ـ أرجوك يا براد، لتكن هذه آخر مرة، لقد منعت من رؤيتك أو التحدث إليك، وأنا أطيع غلوريا لأنها كانت طيبة فعلاً معي. كان من الممكن أن تكون حياتي كارثة لولا تدخلها.

وشعرت بضربات قلبها السريعة وهي تقف قريبة جداً من براد ويداه تمسكانها. وأحست بالألم عندما ضغط عليها أكثر وقرّبها منه.

ـ براد.. أنا واثقة إنك تعرف نساء أجمل مني بكثير، وراغبات أكثر

مني.. ماذا ترى فيّ؟ لماذا تفعل هذا؟

ـ هل قال لك أحد من قبل إن عيناك جميلتان؟

ثم، وكالحلم.. قبّلها على عينيها، كل على حدة، وأضاف:

ـ والآن سأرسلك إلى المنزل.. وما إذا كنا سنلتقي ثانية أم لا... فهذا بين يدي القدر.

ـ لا.. إنه ليس القدر.. إنه أنت.. لديك شيطان في داخلك يقودك، وأنا خائفة مما ستترك لذلك الشيطان أن يفعل بي... أرجوك لا تدمر حياتي!.. لا تجعلني.. أكرهك!

ـ تكرهيني أم تحبيني، هذا ليس بإرادتك، أو إرادتي.

وعانقها قليلاً ثم تركها، وفك مايجور عن الشجرة وأمسك اللجام بينما صعدت مايا إلى ظهره، وأخذت اللجام منه.

ـ هل ستكونين آمنة خلال عودتك وحيدة إلى المنزل؟

ـ مايجور لن يرميني عن ظهره في الغابة.. لقد كنت مستغرقة في التفكير اليوم، وأظن أنك أجفلته.

ـ أليس لديك شيء لطيف تقولينه لي يا مايا؟

ـ الوداع فقط سنيور.

ـ إذاً الوداع يا سنيوريتا.. اديو!

وضربت حوافر مايجور حجارة الباحة، ودخل في الغابة، ولم تنظر إلى خلفها.. فهي لن تستطيع النظر ثانية لبراد دونللي وهو يقف وحيداً على درجات المنزل. وخرج مايجور بها إلى خارج الغابة ووصلا إلى أطراف التلال التي تقود نحو المنزل. الجري هكذا فوق الحصان في السكون السحري للمساء، والسماء قد امتلأت بالنجوم، كان فيه متعة لم تجروء على سبر غورها. وتلاعبت الريح بشعرها، فقد تركت قبعتها في مكان ما من منزل براد، ونسيت أن تلتقطها وشعرت بأن الدنيا كلها لها... مايا الصيادة، التي ما أن تصل إلى

www.elromancia.com

المنزل، حتى يجب أن تكون قد حضّرت عذراً مقبولاً لتركها صيد الثعالب، وتركها خطيبها.

ولم تندهش، وهي تترجل عن صهوة الجواد في باحة الاسطبل، عندما خرج باد صائحاً وعلى وجهه القلق والغضب:

- اين كنتي؟ لقد قلقنا كثيراً عليك.

- لقد وقعت عن ظهر الحصان... إنها غلطتي... كنت أحلم... وتركني ليبحث عن العشب. وأخذت أفتش عنه، وقبل أن أعلم.. عمّ الظلام... على كلٍ، ها قد عدت إلى المنزل سالمة...

- ليس هذا المهم يا مايا، بعضهم لاحظ غيابك وعلّق على هذا أنت لم تتعمدي هذا الاختفاء، أليس كذلك؟ لقد اختفيت المرة الماضية ولكن عند قتل الثعلب فقط... وهذه المرة أقلقتيني بالفعل.. لقد تصورتك واقعة وممددة في الظلام في مكان ما.

- أوه.. الشيطان دائماً يعتني بنفسه.. هل ستبقى للعشاء؟ أنا جائعة جداً!

- أجل.. لقد دعتني غلوريا عندما أتيت لأسأل عنك، لقد فقدتي قبعتك.

- يجب أن أذهب لأتحمم، اذهب وطمئن غلوريا وقل لها إنني آسفة حقاً لإزعاجها...

- الإزعاج ليست الكلمة المناسبة!

وخرجت عرابتها من غرفة الجلوس إلى الردهة، وأكملت كلامها:

- لست أدري ما دهاك مؤخراً يا مايا. بدلاً من أن تتصرفي كشابة مسؤولة على وشك الزواج، تذهبين للتسكع وحدك ولا تسببين لنا القلق فقط بل الارتياب. لقد أخبرني باد أنك تصرفت بشكل غريب في النادي.. وهذا على ما أظن له علاقة بذلك الرجل، دونللي، هل كنتِ معه؟

- لا.. وإذا أردتي الحقيقة، قد تكون سخيفة في نظرك. أنا لا اطيق رؤية ثعلب يُطارد حتى تكاد رئتيه تنفجران، ثم يُسلخ جلده. العملية كلها تصيبني بالغثيان لذلك ابتعدت عنهم إلى أبعد ما أستطيع... لقد شاركت فقط لأنني.. لأنني أحب أن ارضيك. ولكنني لا أحب أن أرى الحيوان المذعور يتمزق إرباً بين مخالب كلاب الصيد... لقد حدثت لي كوابيس من جراء هذا. ولكنني لم أقل شيئاً إلى الآن... حسناً، إنه نوع من الضعف في نظرك... لمجرد أن لديّ... مشاعر.

ووقفت غلوريا تنظر إلى وجهها الشاحب، وكانت مايا تعرف أن الدم قد جف من وجهها لحظة ذكرت غلوريا اسم براد دونللي، وكان ما تفوهت به دفاع مستميت...

- لقد حاولت أن أكون ما تريدينه مني... وأنا آسفة... أظن أنني ضعيفة أساساً.. ولكن كان عليك أن تعرفي.

وقال باد:

- حبيبتي.. أتعنين أنك كنت تخفين عنا هذا.. وأن خروجك للصيد معنا لإرضائنا فقط؟ أنت لست ضعيفة يا حبيبتي، أنت شهيدة جميلة... يا إلهي لماذا لم تقولي لي حقيقة شعورك؟ إن غموضك الجميل يا مايا يخطف أنفاسي!

- أنا أحب ركوب الخيل.. ولكن هذا كل شيء.

وابتسمت مايا لكلامه، مما أغضب غلوريا، فقالت:

- وماذا ايضاً.. ما الذي تجبرين نفسك على القيام به لإرضائنا؟

- اوه.. لا تدعينا نختلف لأنني لا أطيق رؤية ثعلب يقتل. لا نستطيع جميعاً أن نكون بقوة شخصيتك يا غلوريا.

- لا.. ربما لا.. أنا أهتم بك كثيراً، وأجد من المؤلم أن تشيري إلى أنني أجبرك على فعل أشياء تكرهينها، هذا يشير إلى أنني أتحكم

www.elromancia.com

بك، وأنا لا أفعل هذا... أم لا؟

وهزت مايا رأسها قائلة:

ـ لا... لا.. هل تسامحيني لأنني جبانة صغيرة؟ أنا أعرف أنك تحتقرين من له قلب حمامة.

وقال باد:

ـ يلزمك شجاعة كافية لتواجهي البندقية، حتى لو لم تستطيعي إطلاق النار من واحدة. أنت لا بأس بك بالنسبة لي يا مايا، وكل ما كنت آمله أن يكون عندك ثقة بي.

ـ صحيح؟ ربما لم أرغب في أن أغشك يا باد.

ـ حبيبتي لن أرغب في تعذيبك أبداً عن قصد.

ـ اوه.. لقد ظننت أنني غير مؤهلة لهذه الرياضة. ولكن في وسط الصيد والكلاب تنبح لأنها اشتمت رائحة الثعلب تسللت مبتعدة وحدث أن رماني مايجور عن ظهره، وقرر أن لا يكون مخلصاً هذه المرة.

وأمسكت غلوريا بذراعيها النحيلتين:

ـ لن تعودي إلى هذه المغامرة ثانية، هل تسمعين يا مايا؟ أنت لم تعودي طفلة مدرسة تلعب. اذهبي الآن وحضري نفسك للعشاء ولا تبقينا ننتظر طويلاً...

أوه.. يا إلهي... وأسرعت مايا إلى الطابق العلوي وكأن كلاب صيد تقتفي أثرها.. إذاً لقد ظهر عليها... أن رجلاً آخر عانقها... رجل جعل من باد يبدو كأنه ولد رقيق لطيف.

لن تستطيع أبداً.. أن تخرجه من أفكارها ومن مشاعرها، كانت تحس بلمسته لها قوية وحية على جسدها... لم يفعل سوى أنه عانقها، ومع ذلك فهي تشعر بالدمار.. لقد جعلها ترغب في شيء يجب أن لا تفكر به أصلاً..

وخرجت من الحمام تلف نفسها بمنشفة زرقاء كبيرة، ووقفت تجاه المرآة، التي عكست شابة تبدو بريئة بما فيه الكفاية، ومع ذلك فقد كذبت على عرابتها، وعلى خطيبها. تلك الساعة مع براد دونللي عنت لها أكثر مما حدث لها كل حياتها، ومع ذلك يجب أن لا يحدث هذا ثانية. هو ومنزله المنعزل هما خارج حدودها. وإذا رأته من جديد، يجب أن تهرب كالثعلب لتجنبه.

وسمعت قرعاً خافتاً على الباب، فاستدارت لتجد إحدى الخادمات.

ـ لقد أرسلتني السيدة لأساعدك على ارتداء ملابسك للعشاء.

وساعدتها في تحضير الثياب التي سترتديها وقالت:

ـ هيا.. ارتدي ثيابك وتوقفي عن التأوه، ولكنني أستطيع القول إن خطيبك رجل انيق وأنت فتاة محظوظة لتفوزي به، وكل الفتيات الجميلات يركضن وراءه، لا بد أنك تحبينه.. والآن سأحضر الكحل الأصفر ليناسب ثوبك!

وأطرقت مايا برأسها موافقة...

لقد قالت الخادمة، إنك تحبينه.. وهذا هو الشيء الوحيد في العالم الذي لا تستطيع أن تبوح بحقيقته.

☆ ☆ ☆

٤ - بين نارين

هبت ريح مالحة خفيفة على طول الشاطىء وكان هناك رائحة منعشة تعبق في الهواء. وانكسرت أشعة الشمس على موج البحر إلى ألوان لا حصر لها وضربت الموجات الصخور بطاقة لا تتوقف.

واستلقت مايا براحة فوق الرمال الدافئة تحت خيمة من سعف النخل مراقبةً جمال البحر المشتعل عبر نظارات الشمس. كان صباح جميل للأحلام الكسولة، حيث تتدفق الذكريات في المخيلة مثل سمكة تلمع بين الصخور. الشاطىء كان طويلاً أكثر مما هو واسع، ويستدير إلى الداخل والخارج حول المغاور تحت المنحدر الصخري، حيث تستقر طيور البحر مثل أطياف رمادية وبيضاء، ثم تطير ثانية، في بحث دائم عن الطعام. وأخذت مايا نفساً عميقاً وشعرت بتجاوب فطري مع الروائح المختلطة للمحيط والملح، والحشائش البحرية والرمال الدافئة بحرارة الشمس.

الزمن والوعي بالحياة اليومية يتوقف وراء حدود المنحدرات، وكأنما لا معاني حقيقية خارج هذه اللحظات وهذا المكان. وتقفز

المياه فوق الصخور لدى ارتطامها بها، وتختلط أصوات الموج الرقيقة مع نداء الطيور النشطة. وشعرت مايا وكأنها مخلوق بحري، منطوٍ في صدفة آمنة، قد تنكسر عاجلاً ام آجلاً، ولكنها في الوقت الحاضر في أمان، ولم يحصل حتى الآن ما قد يخرجها من السعادة التي تشعر بها لهذا المنظر وهذه الأصوات.

كل أسرار الدنيا ممكن أن يبتلعها المحيط، وعندها لن يكون هناك مشاعر بالذنب، ولا خوف من أن يكتشفها أحد، فستبقى هذه الأسرار ملقاة هناك، في الأعماق الزرقاء، سالمة من أي تشويه تعاني منه عندما تقع بين أيدي أناس يتحدثون فقط عن الذنب، وليس عن الحزن أبداً.. اجل.. هناك نوع معين من الحزن الجميل الأسرار، مثل رائحة عطنة للأوركيديا في أواخر الصيف، أو في غرفة حيث تركت وردة حبيب رائحتها الذابلة.

وقامت مايا بحركة من يدها، وكأنها ترمي بأسرارها إلى البحر... ثم أجفلت وحدقت نحو البحر، ثم قفزت على قدميها، وصرخة قد توقفت عند شفتيها.

كان هناك شخص يسبح بسرعة نحو الشاطىء.. وبزاوية حادة كان يتجه نحو السابح زعنفة قاتلة على شكل مثلث... واحست مايا على الفور بما يشبه المخالب تتشبث بها من رأسها حتى أخمص قدميها، وركضت نحو الصخور حيث تتكسر الامواج.

- براد...!

وصرخت باسمه.. حتى ولو كانت تعرف أن صوت الأمواج سيغطي على صوتها...

- يا الهي.. اسرع.. اسرع... اسرع!

لن ينجو.. لأن القرش كان سريعاً بالقدر الذي هو مفترس. وهذا هو أحد الاسباب التي تدفع مايا للقدوم إلى هنا، فالمكان منسي..

ومهجور لا يقصد البحر فيه أحد.

لم تعد تلاحظ شيئاً سوى ذلك الرأس الأسود في البحر هناك، وهاتان الذراعان السمراوان تشقان المياه، وهو يبذل كل قوته كي يبلغ اندفاع الموج ليجرفه معه.

- أرجوك يا إلهي.. نجيه!. بضع ياردات وسينجو! يا إلهي لا أطلب منك أكثر من هذا! لن أطلب منك المزيد!

وارتفعت الأمواج، دوامة حريرية من المياه، وعندما استقرت عالياً كان الرجل جزءاً منها، ولم تعد تلك اللحظات محتملة، بالنسبة لمايا، وغطت وجهها بيديها، وانتظرت بيأس وهي ترتجف. في أية لحظة الآن سيمزق جسده إما الصخور أو القرش. ليتحول من رجل إلى أشلاء ممزقة.

وسمعت صوت دقات قلبها، وصوت تحطم الأمواج فوق الصخور، واستجمعت كل شجاعتها لتكشف عن عينيها وتنظر إلى الشاطىء.

واصطدم بالرمال، وهو يتنشق الهواء إلى رئتيه.. والمياه تتدفق فوق كتفيه وظهره وساقيه الطويلتين.

- براد! أوه... شكراً لله!

وراقبها تتقدم نحوه، وهو يمسح المياه عن عينيه، وينفضه عن شعره. ولمعت الشمس فوق الميدالية التي يضعها حول عنقه، ومايا تعلم أن القرش ينجذب نحو الأشياء اللامعة. لقد كانت ميدالية دينية لا شك، لأن اللاتين عادة يرتدون مثلها، لا بد أن تكون صورة لقديس ايطالي محفورة في الذهب.

- ماذا تظن أنك فاعل؟ ألا تعلم مدى خطورة هذا المكان للسباحة فيه؟

- لو كنت أعلم يا حلوتي... لما أغراني الأمر.

وجلس وأخذ ينظر إليها برموشه المبللة حول عينيه.

ـ لقد أخفتك.. هه؟ هل كنت تعلمين أن من يسبح هو أنا؟

ـ هذا.. هو كهف الراهبات.. ولقد أحسست أنه أنت عندما رأيتك، وذلك القرش كان يبدو مصمماً للوصول إلى إفطاره.. كان من الممكن أن تكون طعاماً بين فكيه!

ـ أعلم هذا! لقد رأيت مرة رجلاً يتمزق من كتفيه حتى وسطه بين فكيّ واحد مثله... هاي لا تقعي هكذا على وجهك فوق الرمال..

ومد جسمه ليمسك بها، واصبحت ذراعه حول وسطها.

ـ يا مغفلتي الحلوة... الشيطان يعتني بنفسه عادة، ألا تعلمين هذا؟

كل ما تعرفه أنه لا يزال حياً بمعجزة، وبأنه برفسة قدم واحدة تخلص من الفك المفترس. وما إذا كان هناك قديس أم شيطان قد تدخل لمصلحته، فهذا لا يهم، كل ما يهم أنها الآن ملتصقة بضلوعه القاسية التي تحمي قلبه، وتنفست بشهقة مرتجفة.

ـ بالطريقة التي سبحت بها، يجب أن تكون أحد المتبارين في الألعاب الأولمبية.

ـ أجل... إنه أداء رائع لرجل في مثل عمري. ولكنني كنت دائماً محمياً من المخاطر. ماذا أتى بك إلى كهف الراهبات... الفضول؟

ـ لم أكن أظن أنك ستأتي إلى هنا ثانية..

ـ كنت تظنين أنني سأجيء أتلصص عند شاطئك الخاص... هه؟ وأخاطر بالتعرض للسان عرّابتك السليط؟

ـ يبدو واضحاً أنك تفضّل أسنان القرش. ولكن لا يبدو أن غلوريا ترعبك.

ـ انا رجل قاس.. يا مايا.. الم تقولي هذا بنفسك؟

ـ أنا مقتنعة بهذا، بعدما رأيته هذا الصباح... ليس هناك أي حدود للمقامرة التي تخوضها، لانك قلت لي إنك دائماً تدرس اللعبة

قبل أن تراهن.. لقد كنت تعلم أن أسماك القرش موجودة عند هذه الشواطىء، ومع ذلك قررت أن تمتحن نفسك ضدها. أليست هذه هي الحقيقة؟

ـ إذا لم تكن الحياة امتحان، أو مقامرة إذا احببتي، لفقدت الكثير من الإثارة فيها. الا تقوم المرأة بالكثير من المخاطرة عندما تمنح نفسها لرجل... أكبر عناصر التحدي، هو الاستسلام للمشاعر، ألا توافقين معي؟

ـ أنا.. لا أظن أنني قد أرغب في المرور بهذه التجربة.

وأرادت مايا أن تتراجع بلباقة من بين ذراعيه، ولكنه كان غير قابل للمقاومة وهي لا تزال ترتجف لنجاته من القرش.

ـ أنا غاضبة جداً منك يا براد! لقد وعدتني أن تبقى بعيداً... وأن تتركني وشأني...

ـ لقد مضى ثلاثة أسابيع منذ التقينا. ولكن هل أنت متأكدة من أنني قطعت مثل هذا الوعد؟ لقد تركت الأمر للصدف. ألم أفعل؟ قلت لو أننا التقينا ثانية سيكون هذا صدفة خالصة.

ـ صدفة خالصة؟ هل هكذا الأمر دائماً بينك وبين امرأة؟

ـ مايا... هل هذا شيء لطيف تفكر به فتاة جيدة التربية. هذا إذا لم تسأل عنه؟

ـ أنا لست غبية.. أعلم ما تسعى وراءه.

ـ وهل تعرفين الآن؟ ما الذي يجعلك فتاة ذكية هكذا؟

وشعرت ببشرتها تحترق تحت نظرته، وبرعدة رعب لعزلتها هنا معه في كهف الراهبات، بصخوره المرتفعة وكأنها أعمدة معبد.

ـ لا يجب أن تكون الفتاة ذكية لتقرأ ما تفكر به، سيد دونللي... لقد طلبت منك عرابتي أن تبقى بعيداً عني، ومع ذلك فأنت هنا لتفعل العكس.

www.elromancia.com

- أنا هنا لأعلّمك قليلاً من المخاطرة.. هه؟ لا بد أن هناك قليل من الرعب اللذيذ ينتزع من بين مخاطر البراءة. وأظن أن رجلاً مثلي قد ينبهر بهذا النوع من الرعب الذي قد تخبئه فتاة جميلة مثلك.. هذا إذا لم نذكر الإغراء...

- وهل تظن أنك قد أغريتني....؟

- ألست هكذا؟

وأمسك برقبتها ورفع رأسها عالياً إلى أن أصبحت عيناها تنظران إلى وجهه... هناك قوة مظلمة في وجهه وجسده... انه وثني لا شعور له ولا خوف لديه...

- لا تنظر إليّ... هكذا!

- أنا انظر إلى ما يبهجني.. ألم ينظر اليك رجل من قبل ورأى فيك مايا كولين الحقيقية؟ الثائرة الصغيرة المنطوية داخل قوقعة من التحفظ البارد، التي تتوق إلى اكتشاف ما إذا كان للحب معنى...

- لا أظن انني وأنت قد نضع نفس الترجمة لهذه الكلمة...

- إنها ليست كلمة يا مايا.. إنها حالة جسدية وفكرية. إنه شوق أبعد من الوصول إلى فراغ، حيث قد لا يوجد شيء ملموس... حتى الحلم.

- وماذا قد يريد رجل مثلك من الأحلام؟ أنت تتكلم عن الخداع اللذيذ للعاطفة، ولن أشارك بهذه اللعبة ولو كان المسدس موجه إلى رأسي، ويجب عليك أن تضغط الزناد سنيور.

- ولكنني لا أحمل مسدساً يا سنيوريتا.

- لقد اعتقدت أنك قد تحمله... كما فعل جدك، عندما قدم من ايطاليا وانضم إلى عصابة شريرة مشهورة. ولا تزعج نفسك بالإنكار سيد دوناللي.. عرابتي شعرت أن من واجبها أن تخبرني كل شيء عنك.. خاصة عندما بلغها أنك اشتريت «ادامز تشالنج» وتنوي

السكن فيه.

- هكذا إذاً... كان لا بد للأمر أن ينكشف، وخاصة عندما تخرج امرأة مثل غلوريا آرثر مثقبها. دون سيسرو.. جدي، كان نذلاً، امبراطوراً لحقبة العشرينات الدامية. أنا لا أنكر هذا.. ولكنني عرفته عندما كنت طفلاً، لقد أركبني على كتفيه وأحبني. ومات، بعد أن دفع ثمن ما قام به من خطايا، ولكن والدي لم يكن مثله. كنا نجوع عندما لا يجد عملاً. لقد ربانا بشرف، صدقت هذا أم لم تصدقي. لا أهتم يا مايا بما تؤمنين به.

وتركها واستدار ليراقب البحر. وعضت مايا على شفتها ولم تستطع إبعاد نظراتها عنه. وقف صامتاً دون حراك، وشعرت أنه على وشك القول لها أن تذهب إلى الجحيم، وان تأخذ غلوريا معها.

ولكنه بدلاً عن ذلك ضحك ضحكة ساخرة.

- بعض الناس لا يتركون لك فرصة النسيان.. والدي رجل رقيق ولطيف، لا يطلب سوى أن يزرع في حديقته الإيطالية، يهتم بنبات الأكاسيا بأوراقه الفضية وزهرته الحمراء. وفي حديقته كذلك اللافندر، وزهر الترمس والارتيميسيا الجميل الرائحة، وأشجار الخوخ. يا إلهي ما أجمل رائحتها تحت شمس الجنوب! لماذا لا أذهب إلى هناك؟ لماذا أبقى وأعمل هنا، وتدعوني امرأة برجل عصابات.. أظن أن عليّ أن أرتدي ثيابي. لقد تركتها هناك في كهف تحت الصخور... وداعاً.

- براد...

وتوقف ونظر إليها رافعاً حاجبيه بسخرية.

- أنت محمية لعرابتك كي تفخر بك. وأنا أهنئها على العمل الرائع الذي قامت به. ففي خلال سنوات ستصبح طبقة الجليد سميكة فوق جلدك ومشاعرك بحيث تصبحين لامعة كالماس... ماسة جميلة

www.elromancia.com

متجمدة لا حياة في قلبها. حافظي على كهفك لنفسك، أيتها الراهبة الصغيرة.. فلن أتطفل عليك ثانية حتى ولو دعوتني.

والتفّت ذراعها على جانبها الأيسر، ولم تشعر بمثل هذا الألم من قبل... سوف يذهب وينتهي كل شيء... ولكن إذا بقي سيكون الأمر كمن يشرب من قدح سمٍ حلو.

ـ الوداع...

الكلمات كانت على أطراف شفتيها، ولكن عندما بدأ يتحرك مبتعدا سمعت شيئاً مختلفاً يخرج من فمها:

ـ لديّ بعض السندويشات والقهوة... ممكن أن نتشارك بها...

لا... لا بد أنك تشعر برغبة في كوب من القهوة؟

ـ أنا أشعر بأنني تلقيت ركلة على قفاي.

ـ لم أقصد هذا....

ـ اوه... ولكنك فعلتي يا مايا... أنت خائفة جداً لأن تتصرفي كما يحلو لك وتدعي أي إنسان يعرفك. أنت كواحدة من الألعاب، مبرمجة كي تشكي بالأبر الرقيقة، المسمومة الطرف. لا.. لن أشارك في طعامك... ألف شكر لك.

ـ إنها سندويشات لحم مقلي، وقهوة جيدة، وليست من النوع الفوري المحضر سلفاً في علب.

ـ ابعدي عني تفاحتك يا حواء. اسمي دونللي، وجدي مات في سجن جزيرة الكتراز.. أنا لا يمكن الاقتراب مني... يا مايا الألماسية.

ـ أوه... براد....

وركضت نحوه فجأة، وعندما أحست بلمسته شهقت وكأن اصابعه كانت لهيب نار... عناقه كان قوياً، وكأنه يود إيذائها لأنها مخلصة للجميع، ما عداه. وخلال هذه اللحظات الطويلة شعرت أنها

اصبحت جزءاً من جسده المفعم بالحياة، وكأنهما يتشاركان في تدفق الدماء ذاته، نفس اندفاع المشاعر.

عندما أعادت النظر إليه كانت الجرأة قد عادت إلى وجهه الإيطالي.

ـ اذاً هذا ما حدث في عدن. هه؟ لقد حاول آدم أن يقاوم...

ـ هذا كله خطأ... ومنذر بالمشاكل... أنا.. أنا أكره أن أؤلمك.

ـ سوف تعرفين مع الوقت... تلك المرأة تريد أن تجعل منك تلميذة لامعة.

ـ اوه.. لا تدعنا نفكر بهذا... لتكن هذه الساعة لنا فقط... إن لك وجهاً كتب عنه «دانتي».. الوجوه الإيطالية لا تزال كلاسيكية.. أليست هكذا؟

ـ كذلك عواطفنا.

ـ أستطيع تصورك راكباً جوادك مع كلاب الصيد النحيلة، ومع الصقور المخيفة العينين، عبر المستنقعات.

ـ وليس عبر شيكاغو مع زوج من التابعين.. ومسدس؟

ـ هذا كلام غير لطيف منك.

ـ أوه هيا مايا.. لا تقولي إنك لا تتساءلين عما إذا كنت أشبه جدي.. ربما تتساءلين عما دفعك لأن تكوني شجاعة لتركضي الى ما بين ذراعيّ.. ماذا لو دعوتك لقضاء شهر عسل في فلوريدا؟

ـ ماذا.؟

ـ رحلة رجل أعمال رومانسية مع سكرتيرة مفضلة لديه.

ـ اوه.. هل هذا ما في ذهنك؟

ـ انت تدخلين الكثير من الأفكار فيّ رأسي.. بعض منها... واو... هل لا زلتي راغبة في تقديم القهوة لي؟

www.elromancia.com

- إنها قهوة وسندويشات فقط؟
- ألن تقدمي لي حلوى.. هه؟
- ما كنت أود أن اقول هذا عن جدك. ولكن الخوف منك دفعني...
- إنه الموضوع المغري المحرم حول الجاذبية الجسدية. لا تكوني خجولة يا مايا... من المخاطر والسعادة التي قد تمنحها لك مثل هذه الجاذبية.
- هذا غير مسموح به يا براد... يجب أن تكون ممنوعة.
- حسناً.. لا تبدي يائسة هكذا حول الموضوع. الافتتان له حزام امان يدعى التحرر من الوهم.
- وهل أنا مفتونة بك؟
- طبعاً.. لقد قطعت الحاجز إلى الجهة الأخرى، وجعلتك تشعرين كما عندما كنت في البحر وكادت ساقاي تبتران، ومثل عندما نبشتي في وحل ماضيي ورميتيه في وجهي... لقد جعلتك تعودين إلى الحياة!
- بشكل كبير... أوه، إنني جائعة! دعنا نأكل!

وجذبت نفسها منه قدر ما استطاعت، ثم شهقت وهو يشدها إليه ثانية.

- براد... أرجوك...
- هل ترجوني من أجل المزيد أم الأقل؟
- الأقل..
- كي يتلامس القمر والغروب، ولكن دون أن يلتقيا أبداً، هه؟

صمتها كان الرد، وللحظة كان كل شيء خطر بينهما، صوت الطيور والبحر على حافة السكينة.. وكأنه الرعد من بعيد.

- وهل أنت واثقة أن حفيد دون سيسرو سيتصرف كسيد مهذب؟ لن

يكون هناك من سيشهد على ما قد أفعله معك، في كهف الراهبات.

كان هذا صحيحاً، لديه القوة والجسارة، وقد تنجرف وراء ما يسميه بمخاطر الانجذاب. وشعرت بالرعدة في أعماقها عندما انزلقت أصابعه على عنقها.

- لا تفسد شيئاً أحب أن أتذكره.. لا تجعله شيئاً قد أحب أن أنساه.
- أترغبين في نصف تفاحة فقط يا مايا؟
- لقد انقلبت جنة عدنُ إلى صحراء يا براد، ولا أحب أن يحدث هذا لنا.
- إنه كهفنا.. والبحر يعزف الموسيقى لنا.

وفجأة أصبحت ذراعه قوية ودافئة حول كتفيها، وادارها لتواجه الأمواج الفضية التي تتحطم فوق الصخور، ناثرة زبد المياه فوق الرمال وإلى أعالي المرتفعات الصخرية التي تسطع الشمس على جوانبها.

واشتدت قبضة أصابعه عليها... وشعرت بالارتجاف، كشعلة عميقة في داخلها. النار تندفع، والرمال حارة تحت قدميها، والشمس تلسع بشرتها، والبحر والسماء منسجمان في جمال صافي. كانت مدركة لبعض الاشياء، لمشاعرها الحية، للفرح والمأساة. في داخلها كانت كالبحر، دون قرار، لا تخترق، وبدائية.

وشعرت بيده على كتفها وكأنها جناح طير كبير.

- أريدك أن تأخذي هذا.

ورفع يده إلى رقبته وانتزع السلسلة والميدالية الذهبية.

- لقد كانت حول رقبتي لزمن طويل وأصبحت وكأنها جزء مني. خذيها مني على الأقل... هه؟
- اوه.. ولكنني لا أرغب في أن أغير حظك...

www.elromancia.com

ـ أنا أصنع حظي بنفسي يا مايا.. هل ستقبلين بالميدالية؟ محفور عليها رسم سانت جايمس، سيد البحر، وسأكون سعيداً لمعرفتي أنك تضعين في رقبتك شيء مني.

ـ إذا كنت واثقاً.. فلا بأس.

ووقفت جامدة وتركته يمرر السلسلة الرقيقة فوق رأسها ويضع الميدالية بين فتحتي قميصها، وأخذت تلمع على بشرتها البيضاء، واحست بدفء جسده عليها، وكان للهدية قيمة مميزة، وكأنه يقصد أن تفكر به كلما أحست بتحرك الميدالية على جسدها.

ـ شكراً لك يا براد... ولكنني لا أملك شيئاً أعطيك إياه بالمقابل.

ـ لديك القهوة والسندويشات، أليس كذلك يا سيدتي؟

وابتسمت له، وسارا فوق الرمال إلى حيث سلة الغداء في ظل النخيل. وانحنى ملتقطاً نظارتها، متلاعباً بها بين أصابعه وهو يتمدد على الرمال. وركعت مايا لتصب له القهوة. إضافة إلى السندويشات سلطة من البندورة والخس والفلفل الأحمر. وقدمت له حصة أكبر من حصتها من الطعام.

ـ شكراً.. هذه مكافئة الأولمبي على مجهوده..

ـ هل تقوم بمثل هذه المقامرة المرعبة عادة؟ انت رجل محيّر.. ألست كذلك؟

ـ معظم المقامرين هكذا... آه... هذا اللحم رائع. أظن أن غلوريا ستجن لو أنها رأتني الآن. أشارك مأكولاتها مع ابنتها، التي لم تبدو جذابة هكذا من قبل. بشعرها المربوط والقميص.. وساقيها الطويلتين العاريتين.

ـ لا أظن أنني شعرت بالذنب هكذا من قبل.. لو أنها علمت بأمر هذه النزهة.. لن تصدق أبداً أن لديك أخلاق الفرسان.

ـ وهل تصدقين هذا يا مايا؟ لا تحاولي نزع سلاحي بغرس صفات

البطل في رأسي. أنا رجل فقط ولست قديساً ولا مخادعاً. وأستطيع أن أكره بقوة لو اضطررت، وكذلك العكس. واجهي الأمر يا مايا... لا أحب كحلوى بعد الطعام أكثر من شقراء فضية، بعينين صفراوين واسعتين. لذلك أنصحك أن لا تعتمدي على مزاياي الفروسية.

ـ مهما يكن.. سأعتمد عليها.. أنا لست غبية، وأعرف أنك رجل عركت الحياة وواجهت الشياطين... ولكن هناك شيء.. خيط رفيع من التفاهم بيننا، أحب أن يبقى في ذاكرتي..

ـ يا إلهي.. أنت تتكلمين كامرأة حياتها أصبحت خلفها بدل أن تكون على وشك أن تبدأ.

ـ حياتي ستبدأ حقبة جديدة عندما أتزوج باد...

ـ أنت لا تحبينه!

ـ بل أحبه.

ـ كأخ لك. سيكون الزواج محرماً روحياً.

ـ لا تقل هذا!

ـ ألا يهمك سماع الحقيقة؟ ما هو الشيء المشترك بينكما؟

ـ لن أتجادل معك يا براد.

ـ لا.. فمن الصعب المجادلة ضد الحقيقة. وفكرة المرأة عن المنطق معرضة للانكسار مثل سلة من البيض.

ـ شكراً.. من الواضح أن لك رأياً ممتازاً عن تفكير النساء.

ـ لديّ رأي ممتاز أكثر عن إحساس النساء تجاه التضحية. هل اسم الدلع لك في ساتانيتا.. الضحية.؟

ـ أوه.. تناول بعض الفلفل... إذا كنت بحاجة إليه.

ـ حمقاء صغيرة.. لماذا لا تعترفين بأنهم باعوك إلى ذلك المغرور كي يتسنى لغلوريا آرثر أن تنشب أسنانها بالفطيرة السياسية. إنه جواز سفر لها إلى اوساط مجلس الشيوخ عبر زواجك من ابن السيناتور.

www.elromancia.com

كم ستنجح، مثل بروتوس!

- أوه.. توقف عن هذا! أنت تفسد غدائي.

- الأفضل إفساد غدائك بدلاً من حياتك.

- ما هذا الهراء!

- زواجك من باد دينغول سيصبح مستحيلاً لو أنني عرّضتك للشبهة.. أليس كذلك؟

- لن تستطيع أن تفعل هذا...

- هل تراهنين!

- أنت تبدو لئيماً بينما أملت أن تكون لطيفاً... أوه... هذا بعيد عن أملي فيما يتعلق بك. أنت لست رجلاً لطيفاً.. ألست كذلك؟

- لم أدّعي أبداً هذا. ولا يجب أن تتركي الشمس تؤثر على عينيك بحيث ترين هالة القداسة حيث لا توجد.. خذي..

وأعطاها نظارات الشمس بابتسامة ساخرة، مضيفاً:

- ربما تشاهديني على حقيقتي من خلال الزجاج الداكن.

- لماذا عليك أن تكون ساخراً هكذا.

- وهل تفضلّين أن أكون مليئاً بالخطيئة؟ سيكون هذا من دواعي سروري، مع أو بدون تعاونك.

- ماذا تحاول أن تفعل يا براد؟ أن تجعلني أكرهك؟ هل هذا نوع من الدفاع ضد الناس؟ أتخاف أن تسمح لأحد أن يدخل معقلك حتى لا يجد هناك رجل من الممكن أن يتألم كالآخرين.

- يا حلوتي.. لقد تعلمت منذ زمن بعيد أن أفضل دفاع هو الهجوم، وهذه قاعدة أعيش عليها في أعمالي ومتعتي. وهذا ما يجعل من القرش شيئاً رائعاً، فهو لا يتوقف ليتساءل ما إذا كان إطباق فكيه على ساق سيكون مؤلماً أم لا.

- أرجوك لا تذكرني بهذا!.. هذه فلسفتك إذاً... أن لا تخاف

من أن تكون دون شفقة، وأن لا تطلب الشفقة عندما تنقلب الأمور وتخسر اللعب؟

- ها أنت قد قلتي الحقيقة، انظري إلى الأمر من وجهة نظري. أجد منزلاً يعجبني، فاشتريه، ثم أرسل البنائين لإصلاحه، يتبعهم عمال الديكور لتجميله. وماذا يحدث؟ عرابتك تسمع أن المنزل بيع وعلى وشك أن يُسكن، وهذا سيكون أمراً رائعاً، طالما أن من سيسكنه ليس رجلاً مثلي. امريكي إيطالي الأصل صنع نفسه بنفسه، من يجب أن يكون غير شريف لأن واحداً من عائلته كان فيما مضى مهاجراً وصل إلى اميركا في زمن سيء ولم يستطع إيجاد عمل لائق، فانضم إلى عصابة. ولسوء الحظ كان قاسياً وقائداً بطبيعته ووجد نفسه يوماً يتولى الأمور كلها، وكان المال رائعاً وهو لم يحصل عليه من قبل... ولكن كل هذا كان في الماضي ويجب أن يكون منسياً، وربما مغفوراً له، لأنه دفع ثمناً غالياً لذنوبه.. ولكن لا! لقد دار الزمان إلى أن أصبح برناردو دونللي المالك الجديد لقصر فخم، وملوك المال سيحاولون طردي منه.

وصمت قليلاً ثم أردف:

- المحاولة هي كلمة فعالة، ولا أشك أبداً أن غلوريا آرثر، سوف تستخدم كل خدعها لمحاولة إثبات أنني شخصية بغيضة. ولكنني أستطيع أن أقاتل وأردّ الضربة، وسأضرب تحت الحزام لو اضطررت، ولن أتردد في ضرب تلك المرأة المتعجرفة على أنفها. لأمرغه في الباحة الأمامية حيث ترمي النفايات تحت أشجار الورود.

- كان يمكنك أن تشتري منزلاً في أي مكان.. باسادينا ليست المنطقة الجذابة الوحيدة في جنوبي كاليفورنيا، وسوف يكلفك إرجاع ذلك المكان القديم إلى حاله الأصلية ثروة كبيرة، فلماذا أتيت إلى هنا؟

www.elromancia.com

- ولماذا لا؟ لقد اكتسبت الحق لأن أعيش حيثما أشاء، ولن تملي عليّ سيدة من الطبقة الراقية ما تريد، أو تحاول أن تشوه سمعتي.. إنها لا تخيفني يا مايا.. ولا يجب أن تخيفني...

- أنا.. لا... أخيفك.

- ألا تخيفيني؟ أنت الآن متوترة، وتتساءلين عما إذا كان لديها كرة زجاج سحرية، تحدّق بها لترى كل شيء يحدث هنا.

- لن أستمع إليك... لقد كانت غلوريا كريمة ولطيفة معي جداً. وهي تهتم بمستقبلي. والفتيات بالنسبة لك مجرد نزوة عابرة.. كل ما تريده أن تقوم بغزو آخر، والأفضل أن يكون مع واحدة مثلي.. فأنا أمثل لك تحدياً أكبر، لأنني لست من النوع الأشقر المعتاد عليه.

- اتعتبرين نفسك فوق ذلك الصنف من الفتيات يا مايا؟ ومع ذلك فقد كان من الممكن أن تكوني واحدة منهن... ولكن غلوريا تدخلت... هه؟ لقد أخذتك لأنه لم يكن عندك شك أنك طفلة مسلية، وربتك، وتأكدت من أن تستعبدك. وتستطيع أن تفعل هذا كما تشاء وأنت ستتعاونين معها، حتى لو رمت الوحل عليّ، وحتى يوافق الجميع على أن الشر مطبوع في عظامي، وأنني رجل خطير لا يجب أن أكون في الجوار.

وتحرك إلى قربها أكثر، حتى شعرت بضغط ذراعه، مما أجبرها تقريباً على وضع ساكن على الرمال.

- لن يصدر عنك أي همسة احتجاج، وأستطيع أن أعانقك الآن وأجعلك ترغبين بي وأنت تصرخين.

- براد... لا تفعل؟ أنت تفسد متعمداً ما كان يمكن أن نحصل عليه...

- وما هو؟ الصلاة؟

- الصداقة.. لا يجب أن تسخر منها وأنت تعرف هذا. أنت لست

رجلاً تقيم صداقات في كل مكان، أنت لا تثق بالناس كفاية، ولكن يبدو أننا أسسنا نوعاً من الألفة بيننا.

- يا صغيرتي الأنسة.. المحروسة مثل الشعلة المقدسة إلى أن تنطفىء بين يديّ الشاب المختار، الذي كله دم أزرق وعضلات فتية مثل كرات التنس.

- أنت.. أنت لست رجلاً مهذباً.

وأخذت تقاوم بين ذراعيه بيأس حيوان صغير يتنفس فوق رقبته نمر مفترس... وجذبها متعمداً إليه أكثر.

- آه.. إنك حلوة... لقد صنعوك من الزهور والعسل.. أليس كذلك؟

- أتمنى لو أنني تركتك تذهب. لما كنت شعرت بوخز الضمير لو أنني كنت أعرف انك ستنقلب إلى متوحش!

- هذا ما أنت بحاجة إليه... يا سيدتي الجميلة... أن تستيقظي من نومك السحري قبل أن يفوت الوقت...

وبكل قوتها، ضمّت ركبتها اليمنى، وضربته بها، وأمسكت يديه بها واستطاعت أن تشاهد الألم في عينيه، ثم تأوه وأخذ يتلوى مبتعداً عنها واستلقى فوق الرمال وعضلات ظهره متكورة.

وأسرعت مايا تقف على قدميها، تمنع نفسها من البكاء بوضع قبضتها على فمها. كانت قد تعلمت كيف تفعل هذا في سنتها النهائية في المدرسة، ولكنها لم تحلم أبداً بأن تكون بهذه الفعالية. لقد أحست بركبتها تغوص في جسده، ولم تهتم بشيء في تلك اللحظة سوى أن لا يقترب منها أكثر، ويكشف كل الريبة التي تتوارى في كل خلية من خلايا جسدها... وأنها كانت تريده كما لم ترد الرجل الذي ستتزوجه...

www.elromancia.com

كان يرقد هناك، على ظهره الآن، يحدق بها وعيناه مثل مثقاب الماس.

- أنت كلبة صغيرة يائسة.. وتستطيعين أيضاً أن تضربي تحت الحزام عندما تضطرين.

- لقد دفعتني إلى هذا.. أنت تتحدث عن الناس الذين يديرون حياتي.. والدي تحطم على يد واحد من صنفك.. اتركني وشأني! ابتعد عن طريقي، ولا تضع يدك عليّ ثانية!

- وبارعة بالكاراتيه ايضاً.

- اذهب إلى الجحيم يا براد!

وأخذت ترمي الأغراض في سلة الغداء، وقد ابيّض وجهها بعد أن فعلت ما كان يجب عليها أن تفعل. وانتزعت البساط الملون عن الرمال، وهربت.. هربت دون أن يكون أحد يلحقها نحو الدرجات الخشنة المنحوتة على جانب المنحدر الصخري، صاعدة الى القمة. ولم تقف إلى أن وصلت إلى فوق، حيث يصل صوت ضرب الموج على الصخور مترافقاً مع ضربات قلبها، وبللت الدموع عينيها، والتفتت لتنظر إلى حيث تركت براد، وأسرعت كالعمياء نحو سيارتها المركونة إلى جانب الطريق خلف العشب.

جلست داخل السيارة، ومضت بضع دقائق قبل أن تسيطر على دموعها وأعصابها. ومسحت وجهها بمنديل ونظرت إلى نفسها في المرآة الأمامية. يا إلهي.. لن تستطيع العودة إلى المنزل وهي بهذه الحالة. وبيدٍ مرتجفة، مشطت شعرها، ووضعت بعض الأحمر على شفتيها. وبينما هي ترتب قبة قميصها لمست اصابعها الميدالية التي أعطاها إياها براد.

وبلحظة مجنونة، مالت لتقطعها وترميها من النافذة. وأمسكت أصابعها بالميدالية ونظرت إلى الصورة المحفورة عليها... لم يعد

هناك سوى هذه القطعة المستديرة من الذهب والذكرى الجريحة لبراد مستلقياً على الرمال، وتلك الابتسامة الباردة الفظيعة في عينيه. ووضعت المفتاح في قفل السيارة وأدارتها. لم يكن أمامها مكان تذهب إليه سوى المنزل.. ومع ذلك لا تستطيع مواجهة الأمر، أن تدخل إلى ساتانيتا وكأن شيئاً لم يحدث، وكأنها أمضت صباحاً هادئاً، ومرتاحاً عند الشاطىء... وشعرت بالطاقة المتوترة في داخلها وكان عليها إما أن تسترخي أو أن تنفجر، وهذه العملية لا يمكن أن تتم إلا في المنزل، ولا يمكن أن تحدث لو أنها التجأت إلى غلوريا، فهي بارعة في قراءة أفكارها ومزاجها وستحزر فوراً أن مايا متوترة وأن شخصاً ما قد سبّب لها هذا التوتر، وستبدأ تسأل أسئلة. ولقد اشترى براد دونللي الآن منزل آل بنروز، وتعلم غلوريا انه يروح ويجيء في المنطقة، وهي غاضبة بما فيه الكفاية الآن لأنه تجرأ على أن يشتري ملكاً ليس بعيداً عن ساتانيتا نفسها. وهكذا قررت مايا، واتجهت نحو النادي، ستمضي هناك ساعتين من النشاط قد تساعدها على استعادة توازنها.

وأمضت مايا نصف ساعة مرحة مع احد لاعبي التنس، وبعد أن تركها، جلست في الظل على التراس، وهي لا زالت متوترة. تمضية الوقت في النادي أصبح دون جدوى، وكانت السماء تغيب عن الملاعب عندما خرج عدة أزواج من النادي إلى الملاعب ليلعبوا التنس في الهواء البارد العليل، الحي بأصوات الطيور وأريج الزهور البرية التي بدأت الآن ترفع رأسها بعد أن أخذت حرارة النهار تتبدد.

وانحنت إلى الأمام، غير مصدقة ما ترى... لم تستطع أن تصدق الدليل الواضح أمام نظرها. وفي الوقت الذي شاهدت فيه رجلاً آخر من المجموعة، واستطاعت ان تعرفه، مما جعلها تتحرك من مكانها. ولكن كل ما استطاعت ان تفعله أن تبقى في مكانها وتراقب المباراة.

المباراة التي لا تصدق... بين خطيبها مواجهاً نور الشمس، ضد الرجل الذي تركته مرمياً على الرمال عند كهف الراهبات، وعيناه باردتان شريرتان كعيني القرش القاتل.

وخفق قلبها... إنه لن يدع الأمور تنتهي عند كهف الراهبات. وبحسه الساخر الشيطاني سيجد طريقة ليؤلمها، وهجومه سيكون اكثر وحشية من هجومها عليه.

وجلست هناك وكأنها موبوطة بالسلاسل، ولم تستطع أن تزيح عينيها عنه وهو يلعب ضد باد، الذي لا بد أنه تحداه في وقت ما خلال النهار. ومن المعروف أن باد كان فخوراً بقدراته الرياضية. وتعلم مايا جيداً أن براد دونللي يستطيع جعل كل شيء يحدث، وكأنه ساحر أسود من عهد «ميديتشي» في العصور الوسطى، لا بد أنه اتصل بباد، وزاهنه على دفع شيك ضخم لمصلحة مؤسسة السيدة دينغول الخيرية، وهناك جانب طفولي في خطيبها جعله يشعر بعدم قدرته على مقاومة هذا التحدي.

كان براد يلعب وكأنه يقصد قتل الرجل الذي ستتزوجه، وصلّت بصمت أن لا يُهزم باد. وشعرت وكأنها تحررت من رجفة المفاجأة فتركت التراس وركضت نازلة الدرج الذي يقود إلى ملعب التنس. وانضمت الى المجموعة التي تجمعت لمشاهدة اللحظات الحاسمة من المباراة، وقد أذهلهم أن أحد أفضل لاعبي النادي يواجه نداً مماثلاً له هو هذا الغريب. وتحركت مايا من مكانها إلى أن لم يعد بمقدور براد أن يتجنب رؤيتها. والتقطت اللمعة التي صدرت من عينيه وهو يراها، ثم الطريقة الفجائية التي سدد بها ضربته، بحيث أنه أخطأ في إصابة الكرة التي مرت كالسهم من فوق الشبكة.

وأضاءت وجه مايا ابتسامة سريعة، وتمنت أن يعود خطيبها إلى لعبه الممتاز كالعادة. ورآها باد كذلك وعلم أنها موجودة هناك لتشجيعه

وفور أن رآها، بدأ يمارس براعته ضد براد دونللي ويسدد الضربات القوية.. واحد منهما يجب أن يعاني من الهزيمة.

وصرخت فتاة من مكان غير بعيد عن مايا بإثارة:

ـ واه...! لم أشاهد باد أبداً يعاني كل هذا الضغط. من هو هذا الرجل الذي يلعب ضده.. انظروا إلى الطريقة التي يبرز فيها أسنانه! إنها اسنان بيضاء حادة وكأنها أسنان الذئب!

كان باستطاعة مايا أن تتركه يربح... أو أن تذهب إلى سكرتير النادي لتبلغه أن واحداً من غير أعضاء النادي يستفيد من التسهيلات المتوفرة للأعضاء فقط... ولكن بدلاً عن ذلك، تخلّت مايا عن مشاهدة التحدي وذهبت نحو موقف السيارات، واستقلت سيارتها متجهة إلى ساتانيتا وهي تشعر وكأن خنجراً يحفر في قلبها... إنها ليست سوى جبانة صغيرة هربت من باد وتركته ليهزم على يد رجل لا يرحم. يستخدمه كوسيلة انتقام منها.

ولم تكن جائعة كثيراً، ولكنها تناولت البيض المقلي كي ترضي الشعور العميق الذي بداخلها. وبعد ذلك، وعندما لم تستطع أن تنزع عنها ذلك الشعور بالكآبة، ارتدت سترة فوق كتفيها وبدأت تتمشى في الحديقة، متجولةً بين الأشجار، صاعدة ونازلة فوق درجات توصل الى أماكن مخفية، كانت تعرفها منذ الطفولة.

ومرت ساعة بهذه الطريقة، وجلست تحت عريشة تطل في ضوء النهار على واد صغير مليء بالأزهار الملونة، ومر في نافذة المكان الذي تجلس فيه طيف ما. ثم توقف عند الباب.

ـ لقد قالت الخادمة إنني قد أجدك هنا.

وشعرت بلحظة رعب، ولكن عندما خطا باد إلى الداخل أسرعت لترمي نفسها بين ذراعيه وتلف ذراعيها على رقبته.

ـ لقد كرهت أن أهرب من أمامك، ولكنني لم أستطع تحمل

المزيد من تلك اللعبة الكريهة.

ـ لا بأس يا مايا، لقد انتهى الأمر. لقد تحولت اللعبة إلى صالحي بعد أن ذهبتي... وكأنه قد انطفأ... وانتهت المباراة بالتعادل.

ـ أردتك أن تربح...

ـ حبيبتي.. أنت تأخذين الأمر بشكل مؤلم؟ لم تكن سوى مباراة رياضية.

ـ رياضية؟ كانت وكأنها قتال بين كلاب متوحشة، لمشاهدة من يعض الآخر أعمق حتى العظام.

ـ أنت متوترة حول الأمر!

وضمها إليه قليلاً بتحبب، وشعرت بالذنب في أعماقها...

ـ أتمنى لو أننا متزوجان... باد....

ـ وأتمنى ذلك أيضاً.. يا حلوتي.. ولكن علينا الانتظار حتى تمتع أمي وغلوريا نفسيهما بالجهاز، والدعوات، والتخطيط للرحلة إلى اوروبا، والموسيقى وقالب حلوى الزفاف. لا نستطيع أن نفسد عليهما سعادتهما، ونحن نعني الكثير لهما.

ـ التفكير بكل تلك المظاهر يثير بي الرعب.. أتمنى لو أننا نفعل كما يفعل الكثير من الأزواج. ان نقفز إلى سيارة ونعبر الحدود إلى المكسيك ونتزوج هناك، بهدوء وسرعة.. دون ضجة أبداً.

ـ أحب هذا أيضاً يا حبيبتي، ولكن لا أستطيع أن اخيب أمل أمي. كوني الابن الوحيد يحمّلني بعض المسؤولية. بعد أن تنتهي الترتيبات ستحبين أن تكون عروسا بالثوب الأبيض، تتألقين في الحرير وتحملين الورود البيضاء. ستبدين رائعة يا مايا. وسيحسدني كل الرجال... هاي.. تبدين في مزاج رومانسي الليلة. وأنا من كنت أظن أنك فتاة لست مجنونة بفكرة الزواج. ولكنني لا أعرفك حقاً.. ألست كذلك يا مايا؟

ـ بالطبع تعرفني يا باد.. لقد التقينا عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، وكنت أنت في السادسة عشر، عندما دعتني أمك إلى حفلة عيد ميلادك. وأتذكر كم كانت غلوريا سعيدة.

وصرخت مايا في أعماقها: أريد أن أكون سعيدة، أريد أن أكون مجنونة، أريد أن اكون واقعة في الحب. أريد أن أشعر «بشيء» عندما افكر بانني سأتزوج.

ـ تعالي.. يا حبيبتي.. لقد حان وقت ذهابك إلى فراشك.

ـ انا لست طفلة يا باد!

ـ ومن قال إنك طفلة؟

ـ أنت.. بالطريقة التي تكلمني بها، وكأنما أنا بحاجة إلى التهدئة لأنني كرهت تلك المباراة الشرسة بين رجلين يحاولان إثبات تفوقهما. الرجال يتصرفون مثل أطفال كبروا قبل الأوان أحياناً.

ـ اوكي.. لقد كانت نوعاً من اللعب المجنون، ولكن دونللي اتصل بي واقترح هذا الرهان وأردت أن أهزمه، وخاصة عندما تذكرت ما قالته غلوريا عنه بأنه اشترى منزل بنروز بأموال مشبوهة.

ـ وكيف تعلم أنها مشبوهة؟ لا أعتقد أن أمواله قذرة بقدر أموال أي إنسان آخر. أوه.. لماذا لا تدع غلوريا الكلاب نائمة؟ من بين كل الناس، هي من تخرج الفضائح من الخزائن المغلقة بينما أنا لدي ما يكفيني منها.

ـ عما تتكلمين؟

ـ عن الطريقة التي خسر بها والدي أمواله، والطريقة التي عاش بها في كوخ عند الشاطىء، إلى أن اختفى يوماً في البحر. إنه ليس بالأمر السري. وأخذتني غلوريا وجعلتني مقبولة لأمثالك...

ـ أوه طبعاً، لأمثالي، نحن لسنا قديسون.

ـ أنا سعيدة لأسمعك تعترف بهذا.

ـ ولكن هناك شيء حول دونللي يزعجني. جو من السخرية في نظرته اليك، وكأن له عينان مثل الرادار، وأنت ايضاً لا تحبينه يا مايا، وهذا مؤكد.

ـ لا.. إنه لا يعجبني..

ـ إذاً لننسه، أظن لو أن غلوريا حصلت على ما تريد فسوف تكون الأمور قاسية أمامه إلى أن يصبح سعيداً بالهرب إلى مكان آخر، كي يمثل هناك دور السيد المهذب، المزيف.

ـ المزيف ليست الكلمة اللائقة.

ـ اذاً ما هي؟

ـ إن لديه ماولد اللاتين عليه وما يجب أن يكتسبه الرجال الآخرون.

ـ هكذا اذاً؟ اخبريني بما يمتلكه هذا «القهوجي» الإيطالي ولا أملكه أنا.

ـ الجرأة بأن يكون كما هو عليه... هل نذهب الآن لأستعد للنوم... في سريري الخشبي... الذي هو في الواقع ليس صغيراً جداً، وهو السرير ذو الأربعة قوائم العائد للملكة آن والذي استوردته غلوريا من انكلترا.

ـ أتعلمين يا مايا... تبدين وكأنك غاضبة.

ـ صحيح؟.. حسناً، لقد قلت إنك لا تعرفني أليس كذلك يا باد؟ ولكن هل يعرف أي منا نفسه حقاً؟

ـ ربما لا.. ولكن هناك شيء أراهن عليه. شيء تملكينه يا حلوتي.. شيء يتناسب مع أخلاقك العالية بالنسبة للعديد من الفتيات في هذه الأيام.

ـ وما هو يا باد؟

ـ الطهارة.

ـ الطهارة.. وهل هذه جوهرة تضعها فوق فضيحتي المخفية في الخزانة؟

ـ اعتقد هذا.. فتلك الفضيحة لا علاقة لك بها يا مايا. كنت يومها طفلة صغيرة حلوة وبريئة تماماً من أي شيء فعله والدك.

ـ صحيح..

وكذلك كان براد دونللي، طفل صغير، بريء من معرفة ما هو الرجل اللطيف الضاحك الذي حمله على كتفيه، وأنه في الحقيقة ليس سوى دون سيسرو، الرمز القائد للعصابات السرية في شيكاغو... في العشرينات. فالأحداث البعيدة تعطي ظلالها بالفعل، لتصنع ما يسمى «بالليل المظلم للروح».

أجل.. هذا ما تحمله وكأنه الندبة، وما يحمله براد.. ظلال مظلمة فوق روحيهما. والناس تحس بما فيه لأنه شديد السمرة، ولكن بياض بشرتها وشعرها الأشقر هو المظهر الزائف الذي ترتديه مثل الحرباء..

يوم زفافها سترتدي الساتان الأبيض اللماع، وستحمل الورود البيضاء العاجية، ولن يرتاب أحد بأن قلبها ليس في المكان الذي يجب أن يكون فيه... في برج شمس مرتفع، يدفىء نفسه في لهيب محرّم.

ـ هل لي أن أضمك؟

ـ طبعاً.

ورفعت رأسها وكأنها طفلة مطيعة... وما تبقى منها كان مدفوناً في عمق لا قرار له من الجليد... بارد.. لا يمكن أن يذوب، وهي تدخل، ثم تخرج من بين ذراعي خطيبها..

ولم يسألها عن سبب تحفظها البارد في التجاوب، فبالنسبة له كانت طاهرة، وهذا هو، وقبل كل شيء، ما يقدّره باد دينغول في

عروسه القادمة، بالإضافة إلى ما يكفي من سحر الوجه والشخصية، ليكون محسوداً من أقرانه.

لم يكن يتوقع، هذا إذا لم يكن يرغب، بخطيبة حارة بشكل يائس. لقد تعلّم أن «السيدة» المهذبة لا تظهر مشاعرها، وبينما كان يسير هو ومايا باتجاه المنزل، كانت ذراعها مشبوكة بذراعه، ومشاعرها لا يعرفها سوى هي بنفسها.

٥ ـ نسر فوق الضباب

لم تكن مايا تظن أبداً أنه قد يأتي وقت في حياتها ستشعر فيه بأنه غير مستقرة، وأنها عندما تنام ستحلم بأحلام غريبة تجعلها تستيقظ قبل الفجر، والضباب لا يزال يغطي الأراضي، لتضع السرج فوق مايجور، وتركبه خارجة على غير عادتها، وتواجه يومها باكرة هكذا.

ما من أحد استطاع اكتشاف أنها كانت تمسك عنان نفسها بسرية، تصرخ فيها لتتخلص من التحصيرات الشعائرية المتشوقة ليوم زفافها. ذلك اليوم الذي ستصبح فيه، وإلى الأبد، من أملاك هؤلاء الناس الذين يرون فيها العروس الكاملة، التي ستصبح مضيفة شابة فاتنة للبيت الذي يُشاد على قطعة من الأرض ضمن أملاك دينغول، حيث ستؤسس هناك عائلة صغيرة ملائمة مع باد.

بلغت التحضيرات الآن ذروتها، وبدأت القياسات للثوب الساتان الجميل.. القماش اللماع مصنوع في سيلان. حيث حيك بصناعة يدوية، عدة ياردات منه، ستكون كافية لصنع ذيل طويل على اطرافه تطريز نمساوي لم تستعمله غلوريا من قبل. وحذاء يناسب الثوب.

www.elromancia.com

وشعرت مايا بأن ما يجري هو نوع من الإنتاج أكثر مما هو زفاف. ولكنها حافظت على هدوئها واستطاعت أن تمر في أول القياسات دون أن يظهر عليها ما كانت تشعربه. المشاعر التي كانت تحوّل نومها إلى دوامة بين الواقع والخيال.

لم يكن هناك أي شك في ذهنها بأنها سوف تمضي في زواجها، ولكن كان من الممكن أن يكون الأمر أسهل لو أن باد وافق على زواجهما بهدوء.. وأن يتركا وراءهما كل هذا الضجيج ويعبرا الحدود ويتزوجا بمراسيم سريعة يشهد عليها غرباء، لا يحدّقون بهما ويتهامسون، ويلقون بالترحيبات والتهاني طوال حفلة استقبال.

ولكن باد كان مخلصاً لوالدته، وكونه الولد الوحيد، شعر أن من واجبه أن يوفر لها يوم زفاف حقيقي.. يوم تستطيع أن تتذكره بفخر، مع كل المراسيم الصحيحة والملائمة، مثل حلوى الزفاف المرتفعة التي ستُقطع بسيف كان أحد أفراد العائلة يحمله في المعركة أبان الحرب الأهلية بين الولايات. وحيث تؤخذ الصور لتوضع في ألبوم صنع خصيصاً منقوش عليه اسم العائلة، ولا ينسى فيه عادة أن ترمي العروس باقة الزهور إلى الوصيفات قبل أن يسرع العروسان السعيدان في أولى خطواتهما إلى شهر العسل.

بدا الأمر وكأنه عرس لغلوريا والسيدة دينغول، لأن سعادتهما كانت تطغى على سعادة مايا... وكان أمام غلوريا الكثير لتفكر به، والذروة كان عند بعد ظهر يوم القياس النهائي حيث أصيبت بصداع اليم، كانت مايا تعلم أنه يؤلمها كثيراً، وان لا شيء يهدئه سوى الراحة التامة في غرفة مظلمة، ولكن عندما عرضت مايا أن تبقى معها ثارت غلوريا وأصرّت على حضور القياس النهائي للثوب، الأخير قبل الخياطة النهائية ووصل الذيل به.

ـ لا أحب أن أتركك هكذا...

وتوسلت إليها غلوريا.

ـ اذهبي.. تعرفين كم أريد أن يكون كل شيء على ما يرام، والثوب مهم جدا، أوه.. فليذهب هذا الصداع الى الشيطان! لماذا يجب أن يحدث لي اليوم؟

ـ لأنك كنتي تبذلين الجهد وتقلقين، وتتعبين نفسك.

واندفعت مايا فوق عرابتها وطبعت قبلة على خدها، وتابعت:

ـ حاولي أن تنامي يا عزيزتي.

وأمسكت بها غلوريا بيدين جافتين حارتين:

ـ مايا.. لم أقل لك هذا من قبل.. ولكنني كنت أكن مشاعر نحو أبيك كانت أكثر من الودّ. وشعرت بالحزن عندما دمّر حياته. ولا أريد شيئاً كهذا أن يحصل لك. وباد شاب لطيف، ودماؤه أصيلة، ومندفع لأن يفعل دائماً الأشياء الشريفة. وسيكون لك زوجاً رائعاً، ومع الوقت لن يكون هناك ما تندمين عليه.

ـ أوه يا غلوريا ما هو الندم الذي قد أشعر به...؟

ـ وهل تظنين بأنني عمياء يا مايا؟ لقد كنت الاحظ نظرة على وجهك في بعض الأوقات سببت لي قلقاً أكثر مما قد تتصورين. أعرف أن الفتيات تحلمن بالعواطف التي تجرفهن وتجعل من كل شيء يبدو ساحراً، ولكن هذا لا يدوم. في الأفلام فقط يسقط الثلج دون أن يتحول الى جليد، وحيث يلمع الجليد فقط عند نهاية القصة. صدقيني، سيكون عندك شيء أبعد من الأحلام الحقيقية، سيكون عندك مركز، أمان، ولن تشعري بألم القلب الذي قد يسببه الحب. ستكونين جزء من سلالة، لأن آل دينغول هم من بين العائلات التي أسست كاليفورنيا، وشجرة عائلتهم شجرة صلبة. أترين يا طفلتي العزيزة، نحن لا نبقى صغاراً ومثاليين، نحن نكبر في السن ونتعلم أن الحقائق لها أساس أمتن من أحلام الشباب. وعليّ أن أعلّمك

الحكمة... هل تدركين هذا؟

واشتدت قبضة أصابعها المحمومة على يد مايا، وتابعت:

ـ أنت ابنة موريس، وحبه لعدم الاستقرار طالما أقلقني خوفاً من أن ترثي هذا... هل ستطيعين رغباتي؟ وهل ستتزوجين باد مهما همس الشيطان في قلبك بأنه لن يكون لك المحبّ المجنون المندفع؟ أوه.. يا لرأسي اللعين! لقد بدأت أرى.. البرق...

ـ ارتاحي يا غلوريا. وإلا سيزداد الصداع.

ـ عديني...

ـ أنا لا أحنث بوعودي أبداً، وأنت تعرفين هذا.

ـ لم تفعلي هذا من قبل، ولكن مؤخراً لاحظت عليك بعض التغيير الحاد. هل السبب هو ذلك الرجل؟

ـ لا..!

وأحستّ مايا بالصدمة وكأن أحد ما قد ضربها على رئتيها... فلم يكن هناك أي شك في ذهنها أن غلوريا تشير إلى براد دوناللي.

ـ أعلم أنه جعلك مضطربة... وهذا أمر نفسي، موريس دمره واحد من نوع ذلك الرجل...

ـ لا أنوي أن يدمرني أي رجل.. سأذهب إلى قياس الثوب الذي أنت قلقة عليه. وسأزور محل الأحذية لأرى إذا كان حذاء الساتان قد اصبح جاهزاً. وسأجلبه معي وستصبحين أحسن حالاً قريباً وسترينه بنفسك، وتتأكدي من أنه حسب رغبتك تماماً..

ـ هل كنت مستبدة؟... لقد كنت أريد أن يكون كل شيء كاملاً، هذا كل شيء، وأن يتذكر الناس لفترة طويلة حفلة زفافك ويقولون إن لا مثيل لها. أنا.. أنا لا أريد أن يحدث شيء خاطيء... ستذهبين رأساً لقياس الثوب، ثم لتسألي عن حذائك وتعودين فوراً إلى المنزل.

ـ بالطبع سأفعل. اغلقي عينيك الآن ونامي... وعندما تستيقظين سيكون الصداع قد ذهب عنك.

ـ أنت طفلة طيبة، ولكن لا تتأخري.. القياس عند الثالثة تماماً.

ـ سأذهب! وداعاً!

ذلك اليوم كان الضباب أكثر كثافة، ولم يكن قد زال عندما وصلت مايا إلى دار الأزياء. وصعدت في المصعد إلى الطابق الثالث واستقبلت على الفور على انها زبونة مهمة. وأمضت الساعة التالية في قياس الثوب الذي أصبح تقريباً كاملاً..

كان جميلاً، دون أي عيوب قديم الطراز ببساطته، القماش اللماع أظهر كل ميزاته، كما سيظهر العقد الماسي الذي سترتديه يوم الزفاف ووجدت مايا أن ذيل الثوب ثقيل قليلاً، ولكن وصيفاتها سوف يتدبرن أمره، لذا لم تقل شيئاً. وابتسمت ثم أطرقت موافقة.

وشعرت بالراحة عندما تخلصت أخيراً من كل هذا، ورافقها مصمم الثوب إلى الباب.

ـ لم أكن أبداً سعيداً بثوب صممته من قبل كهذا. أنا مسرور جداً وأتمنى أن تكون الآنسة كولين سعيدة أيضاً.

ـ مذهولة هي الكلمة المناسبة مسيو...

ووقفت وهو يقبل يدها. وينظر الى خاتمها وكأنه يثمنه حتى آخر سنتيم.

ـ سوف تكونين عروسة تصيب بالدوار.. لم أشاهد بشرة وشعراً بهذا الصفاء من قبل يا آنسة كولين.. إنه شعر أشقر طبيعي وليس مصبوغاً كما هو الحال غالباً في هذه المدينة من هوليوود.

ـ أنت أكثر من لطيف لقولك هذا مسيو.. والآن لديّ موعد آخر... أورفوار، مسيو..

وأسرعت مايا نحو محلات الأحذية، كان الضباب يتجمع عند

أعالي الأشجار ويلتف كالرباط الفضي حول جذوعها، ونظرت الى فوق، وفجأة اصطدمت بشخص، وشعرت بأن يدين كالفولاذ أمسكتا بها. فاسرعت تقول:

- أوه.. أنا آسفة...

وتصلبت مايا وكأن تياراً كهربائياً قد صدمها، ووقفت تواجه رجلاً يرتدي بذلة «سافاري» بنية فاتحة... وبينما هي تحدّق به اخترقت طائرة السحاب الأبيض فوق الرؤوس وأحست بهديرها داخل رأسها حتى أنها شعرت بالدوار، وكأنها ستقع.

«لقد هربت منه، طوال ليالي وطوال أيام»... ثم استيقظت من جديد وكل مشاعرها ترتجف داخل جسدها الذي لم يكن يتحرك، المختبىء وراء قناع شاحب يغطي وجهها. بالنسبة لمن يمشون حولهما كانا مجرد رجل اسمر بشكل مميز وامرأة شابة بشقرة مذهلة... ولا يعلمون أن مايا قد سارت لتوها إلى داخل شرك الشيطان.

- كم هذه مفاجأة غير متوقعة.

وابتسم لها وانحنى نصف انحناءة، وكلا التصرفين كان فيهما شيء من السخرية. ووقفت مايا غير قادرة على الكلام. متذكرة الألم الذي سببته له... وعندما نظرت إلى عينيه اللامعتين الخطرتين، أدركت تماماً أن ما من شيء بينهما قد نُسي، وآخر شيء هو أنها فتاة على وشك الزواج من رجل آخر.

- أنا.. أنا في طريقي لأرى.. ما إذا كان حذاء ثوب زفافي قد أصبح جاهزاً.

- وتظنين أنك ستصلين في الوقت المناسب هه؟ إذاً سأتمشى معك إلى هناك.

- لا، يا براد...

وابتعدت عنه، وكادت تصطدم بعربة أطفال تجرها مربية ومد براد يده ليمسك بها، وأجفلت ونظرت إليه بعينين متوسلتين. ولكن وجهه لم يلن، عيناه كالفولاذ، تتناسبان مع أصابعه الممسكة بها.

- لا تستطيعين منعي يا مايا، فأنا بطريقي إلى هناك لآخذ حذاء ركوبي. ولا معنى لذهابنا منفردين بينما نستطيع أن نترافق.. ماذا دهاك؟ هل أحرجك؟

- بالطبع لا.. وتوقف عن إمساك يدي! فقد يرانا أحد، و.. وانت تعلم كيف يتكلم الناس.

- أجل.. إنها عظمة صغيرة مليئة باللحم ستنشب قطط الفضائح أسنانها بها.. ولكن قولي لي.. هل تهتمين فعلاً بما يفكر به هؤلاء الأشخاص.

- لا.. على الأقل.. ولكنني مهتمة أن لا يسيء تصرفي لاسم باد بأية طريقة.

- ومشاهدتك معي سيسيء إليه بالتأكيد؟

- وسوف يسعدك هذا... لقد حاولت أن تمسح به الأرض في ملعب التنس، ولكنك وجدت أن الأمر ليس سهلاً.

- يا عزيزتي مايا.. لقد فقدت اللعبة حيويتها عندما اخترت الهرب... هل تجرين ذيلك دائماً عندما تصبح اللعبة حامية؟ وهل ستحاولين هذا الآن؟

- وانت لن تسمح لي.. أليس كذلك؟.. أوه.. لنمض في طريقنا..! إننا نجتذب الانتباه.

- تبدين قلقة، ومتوترة.

ومضيا جنباً إلى جنب عبر الرصيف نحو محل الأحذية، محل مكتظ، حيث أكثر أقدام مشاهير هوليود تقاس لصنع أحذية باليد من أفضل الجلود. وكون براد زبون هناك لم يدهش مايا. ولكن ما صدمها

أن تلتقي به على نفس الطريق الذي تقصده. وتمنت لو أنه بعد خروجهما من المحل يتركها تذهب الى منزلها...

وبينما هي تتفحص حذاءها الساتان، كانت تشعر تماماً بتفحصه الدقيق لها، وقفزت أعصابها عندما أخذ فردة من الحذاء بيده السمراء النحيلة ونظر إلى وجهها. ولم تجرؤ أن تلاقي عينيه، وسرّت عندما لُف الحذاء في الورق ووضع بعناية في صندوق ابيض، لتأخذه معها.

ـ عليك أن تسأل عن حذائك.. لذا سأذهب...

ـ تناولي الشاي معي.. أرجوك!

لم يكن قد استخدم هذه الكلمة في خلال لقاءاتهما من قبل، واسترعت انتباه مايا، ونظرت إليه، ولاحظت الهدوء في عينيه، والانتظار، وكأنه يتوقع الرفض وسيرضى به لو أنها اختارته.

ـ لقد وعدت بالعودة رأساً الى المنزل.

ولكن بظهور السخرية في عينيه ثانية، صدمت بحدة لإدراكها أن هذه قد تكون آخر مرة يلتقيان بها معاً، لأنها ما إن تتزوج، فلن يكون هناك أي لقاء معه.

ـ حسن جداً.. في الواقع أنا عطشانة.

ـ شكراً لك.

وكان هذا كل ما قاله، دون أي ابتسام على وجهه، وعاد للاهتمام بحذاء ركوبه، طويل وطري، ولون الجلد أحمر لماع. ومرر يده فوق الجلد، وأحست مايا بتوتر الأعصاب الدقيقة في صدرها. ولم تكن ساذجة حتى لا تعرف سبب هذه المشاعر وهي تنظر إلى تلك اليد وكأنها يد السياف، بأظافرها المقلمة.. ماذا كان يا ترى في وجوده السابق؟ ساحر، ام أحد أبناء طبقة النبلاء في بلاده؟ واستدار اليها مبتسماً.

ـ ما رأيك؟ هل هو أنيق أكثر من اللزوم على مدير فندق؟

ـ إنه يشبه حذاء «الكوندوتيير».

ـ آه.. الجنود المرتزقة...؟ أعتقد بإمكانك أن تقولي إنني نسخة عصرية من واحد منهم.

وتركا المحل، حاملين الرزمتين. وفي الخارج عند الرصيف شعرت مايا بميل متوتر لأن تقول له إنها غيرت رأيها بشرب الشاي معه. ونظرت إليه، وتوقف النفس في حلقها، لأنه بدا وكأنه يقرأ افكارها.. وقال لها:

ـ كم أنت جميلة بشكل شيطاني.. أنت مخلوق نادر يا مايا كولين..

ـ أوه.. ولماذا؟

وتصاعد الدفء الى وجنتيها، وتسارعت ضربات نبضها عند أسفل حنجرتها. لا شيء أكثر خطراً من أن يفكر هذا الرجل بأنها جذابة... ولا شيء أكثر غباء من البقاء رغم إدراكها أنها راغبة بأن يطول هذا اللقاء المر الحلو.

ـ لديك زوج من الأذنين الرائعتين، ألا تلاحظين هذا، لا يملك مثلهما الكثير من الناس.

ـ براد...

ـ لا تتجرأي على قول ما أراه مكتوب في عينيك. تستطيعين ترك سيارتك حيث هي وسنذهب إلى المكان الذي في ذهني لنتناول الشاي. هل هذا كثير عليّ.. بينما باد دينغول سيحصل عليك لإفطاره وغذائه وعشائه؟

ـ وهل هذا أمر حكيم؟

ـ انها يا مايا، أدركت هذا براءتك المطلقة ام لا، ملاحظة استفزازية. إذا كنتِ تريدين التساؤل عن الحكمة من وجودك معي.. يا عزيزتي.. في المرة الأخيرة أنا من تلقيت الضربة بركبتك.

ـ أنت لا تنسى أبداً، أو تغفر بسهولة. أليس كذلك يا براد؟

www.elromancia.com

ـ لا زلت أملك الروح الإيطالية يا مايا، وليس لديّ الوقت للنساء اللواتي دون أخلاق. قد آلمني ذلك، ولكنني كنت أستحقه...

وهذا جيد لك.. يا إلهي هذه الشيطانة الرقيقة كيف تملك ركبة حادة بهذا الشكل!

ـ براد.. كان يمكن أن تقتلني!

ـ في تلك اللحظات الثمينة؟ تعالي، سيارتي عند المنعطف وسأسحبك تحت ذراعي إذا لم تسيري معي.

واشتدت قبضة أصابعها على الصندوق الذي تحمله، كانت محنة بالنسبة لها أن تذهب معه أو لا تذهب. وخطا نحوها خطوة تهديد. إنه قادر على تنفيذ تهديده. وسارت مايا معه إلى سيارته. وهي تشعر بأن الأرض تميل تحت قدميها... وسارت السيارة بهما عبر بولفار «سان سيت» باتجاه أودية بيفرلي هيلز، ثم خرجت إلى شارع عريض يقود نحو لاس بالماس. إنهما متجهان نحو فندق «برج الشمس».

ـ أنت مضطربة كقطة متواجدة على الجانب الخاطىء من السياج... ارتاحي.. وستتمتعين بالمشوار... فأنا لن أختطفك، على الرغم من أن الفكرة مغرية. أتعلمين، في مناطق معينة من إيطاليا عندما يكون هناك اعتراض عائلي على زواج محبوبين، يقوم الشاب باختطاف الفتاة ويهرب معها. وبعد قضاء ليلة معه، لا يعود هناك أي اعتراض على الزواج، وهكذا يتم تزويجهما لاستعادة سمعة الفتاة.. هل تظنين أن مثل هذا ينجح في أميركا؟

ـ لا أنصحك بالمحاولة.. فالفتيات الأميركيات لسن، رومانسيات هكذا، إذا كان هذا ما يجري في تلال ايطاليا المجنونة...

ـ الا يبدو مثل هذا الهروب رومانسياً لك؟ وهل أنت متمسكة جداً بكل التعقيدات والطقوس لما يسمى بالزواج الحديث؟ إنك متحفظة كثيراً يا مايا، ولا أستطيع تصور أنك تحبين فكرة كونك نجمة ملفوفة

بالساتان لزواج ضخم، يدعى إليه العديد من الناس، والعديد من الهدايا، والعيون الحاسدة عليك منذ اللحظة التي تأخذين فيها مكانك إلى جانب العريس، وكأنك شبح جميل.. أعتقد أنك تفضلين الهرب عبر الحدود إلى بلدة هادئة، وتنهين الأمر بأسرع وقت ممكن.. هل أنا على حق؟

ـ أنا واثقة أنك تظن نفسك محقاً.

ـ لقد راقبت التعبيرات على وجهك وانت تشاهدين حذاء الزفاف. هل شاهدت فيها ابتسامة ساندريللا؟

ـ لديك مخيلة نشطة يا براد، وموهبة اللاتين في صنع الغموض حيث لا يوجد أي غموض.

ـ لقد فهمت، أنت لا تثقين سوى بقلبك.. هه؟

ـ صعب عليّ أن أثق بك.

ـ لا أستطيع فهم لماذا لا.. في وقت أملك فيه حب اللاتين للتكتم. هل هناك أشياء في قلبك لا يجب أن تقوليها لي، يا ماريا؟

ـ قلبي يا سنيور، شأني الخاص، وإذا كنت ستمثل دور المحقق، سأضطر للإصرار على أن تعيدني بسيارتك إلى حيث تقف سيارتي....

ـ آه... ألن يكون ملائماً لو تناولت الشاي معك وتبادلنا حديثاً مهذباً، وأبقيت نفسي بعيداً عنك؟ كم هو ممل يا مايا.. كم هو مثير للضجر أن تمتنعي عن قول ما هو محرّم.. على كل الأحوال من سيعرف لو فعلتي؟

ـ أنا سأعرف..

ـ اليس هذا عناية زائدة بالطهارة؟ أنا واثق أن خطيبك الشاب ماهر في تسديد ضربة في التنس، ولكنني أشك في قدرته على قراءة ما في فكر امرأة.. على الأقل فكرك يا مايا...

ـ أنا لا أملك فكراً مخادعاً، شكراً لك، لا أملك فكراً أسود مشابهاً لما في داخل سمكة نهرية.

ـ وهل يعرف باد دينغول أن لك طبع غاضب، ولسان صغير سليط بعض الأحيان! بالطبع لا يعرف! إنه لا يعرف شيئاً حقيقياً عنك. سوف يُصدم حتى العظام لو عرف أن عذراء الثلج تستطيع أن تغلي بالغضب وتعرف بالضبط أين تجرّد الرجل من سلاحه... آه كم هذا مضيعة للطاقة! كرجل أعمال أكره أن أرى أي شيء يعمل بنصف طاقته.

ـ شكراً، إذا كانت طاقتي هي منخفضة لهذا القدر، إذاً أستطيع القول إنك ستكون سعيداً للعودة إلى نوع النساء اللواتي يتنازلن أكثر مما أفضل أنا... بعد أن تكون قد أرضيت فضولك عني.. وهل كنت تظن أنني سأخوض تجربة مجنونة قبل أن أتزوج... معك؟

ـ السماء لا تسمح بأن أكون محظوظاً لهذه الدرجة.

كان يقول هذا ويدخل بسيارته الى باحة فندقه، إنه قصره الفضي.. ونزلت من السيارة ووقفت تحدّق في المبنى المضاء الذي تختفي بروجه العليا في الضباب. آخر مرة كانت هنا برفقة غلوريا، ولم تكن تعرف أن المكان ملك براد دونللي، ولم تكن تحلم بأنه قد راقبها وتساءل ما إذا كانت من النوع الذي يقيم علاقة معه.

واستدارت لتواجهه... وخفق قلبها عندما التقت بعينيه، اللامعتين كالكريستال في وجهه الأسمر النحيل، وقال:

ـ ما تفكرين به ليس صحيحاً أبداً أنا أحسد الرجل الأميركي الذي سيمتلكك، ولكنني لم أفكر قط ولو للحظة واحدة أنك قد تنغمسين في الملذات، أكان في اللحظة الأخيرة أم العكس.. اتدرين... ليت أن صنارة تنتزع حلقي لو استطعت أن أصدق أنك مثل بقية النساء. لا تهتمين بأن تخادعي، فاسدة، تتمسكين بيومك، ولا تهتمين

بغيرك.. لكن يبدو أن عليّ أن ابتلع تلك الصنارة، أو أعلق بها.

ـ لا تتكلم هذا.. هل سنذهب إلى المطعم؟

وتحركت كأنما تريد أن تعبر إلى الدرج الرخامي الذي يقود إليه الرواق المفروش بالكراسي والسجاد العجمي.. ولكن أصابعه أمسكت بمعصمها.

ـ بل إلى شقتي.. ولا ترفضي يا سيدتي.. ستكونين آمنة، وأقسم على هذا!

لمسته كانت دافئة على بشرتها، حميمة مطمئنة أكثر من أي شيء، أحست به.. وتمتمت مايا «لا بأس» ورافقها إلى المصعد المكشوف للفندق، المصنوع من الزجاج والفولاذ، الذي حملهما إلى شقته عند قمة تاج المبنى. وأطبق الضباب من حولهما، وشعرت وكأن نسراً قد أمسك بها وحملها نحو السماء.

وقطعا ردهة صغيرة مكسوة بالخشب الذهبي اللماع، وفتح باباً يوصل إلى غرفة استقبال فرشت أرضيتها بقطع من السجاد الصوفية الخشنة، من النوع الذي يمكن أن يكون أتى به من إيطاليا. وشاهدت زوجاً من المقاعد الرائعة مكسوة بالأبيض وكأنها مخبأة في فجوات من خشب الماهوغوني الأسود اللماع... وعلى الجدار، قناع برونزي مثير، له وجه شيطاني.. ولم تكن بحاجة لأن تسأل لمن هذه الملامح الإيطالية فيه فتلك الشفاه لها نفس الانحناءات التي لبراد عندما يبدأ في سخريته.

وأحست به خلفها، قريب جداً كي تشعر به بكل عصب في جسدها. وهمس بها:

ـ اجل.. هذا دون سيسرو.. أترين شبهي الشديد بجدي الشهير؟ أتتساءلين مجدداً ما إذا كان الشبه يتجاوز البشرة الداكنة؟ وما إذا كنت عضواً في تلك العصابة ومن هناك حصلت على مالي؟ أهذا ما غرسته

عرابتك في رأسك.. هه؟ وهل تصدقينها؟

ـ لا.. صحيح أنني أظن أن لك تفكير قاسياً لا يرحم، ولكنك تفضل التحدي بالحصول على مالك بنفسك بدل أن تسرقه.. وأن والدك ووالدتك قد تأذيا ايضاً بسمعته.. ولكن لماذا صُنع هذا القناع؟ ولماذا تعلقه على جدارك؟

ـ لقد صنعه والدي بناء لطلب سيسرو، ليذكرني دائماً، وأنا حفيده، بأن الجريمة لا تقود إلى نهاية معروفة، فقط إلى الموت. كان من المؤسف أنه ترك ايطاليا.. هل يبدو لك أن له وجهه الكافر؟

ـ لا.. ولكن الوجوه ممكن أن تكون مخادعة.. أليس كذلك؟

ـ وهل تجدين وجهي مخادعاً؟

ووضع يديه على كتفيها وأدارها لتواجهه، وحدّقت به، وبدا لها أن له وجه الغازي، بشعره المنسدل على جبهته، بأنفه الروماني، وبفكيه اللذين يمتلكان قوة حادة لا ترحم. ولم يكن لديه اية شكوك حول قواه، ولم يكن بحاجة أبداً لأن يكون عضواً في عصابة.. إنه يقف وحيداً أمام التحدي، و«برج الشمس» هو رمزه عن نفسه.

ـ أنت هنا معزول.. كما النسر، وهنا وكرك.

ـ أهلاً بك في وكري.

وقادها عبر الغرفة وفتح باباً زجاجياً نحو تراسه الخاص. حيث في وضح النهار هناك منظر رائع للاس بالماس، وفي الامسيات هناك سحر خيالي من الاضواء والظلال وكأن المرء عالق في زجاجة جميلة..

ـ لا تزالين متوترة.. ألا يعجبك الجانب الآخر من السياج عندي؟

ـ كلانا نعرف أنني ألعب دور الهاربة من المنزل، أليس كذلك يا براد؟

ـ لقد التقينا صدفة.. ولم نخطط لهذا اللقاء وكأننا متآمران.

ـ أليست الصدفة تسمية المغفلين للقدر؟ هناك شيء مقدّر بالطريقة التي نلتقي فيها و.. هذا ما يخيفني.. ما كان يجب أن آتي إلى هنا! كان عليّ أن أرفض عندما سألتني...

ـ القدر لا يسمح لنا دائماً أن نرفض.. هل لي أن آخذ عنك معطفك.

كان قد صمم على أن يجعلها تبقى، وهكذا بأصابع مرتجفة بدأت تفك أزرار معطفها واعطته له. وبما أن التراس عنده مغلق كله بالزجاج فلن يكن هناك أي أثر للبرد، مع أن البناء الشامخ بدا وكأنه يسبح بين الغيوم...

ـ ألن تشتاق إلى هذا عندما تنتقل إلى قصرك الريفي؟

ـ لن يبدو ريفياً بعد أن ينتهي البناؤون وعمال الديكور منه. على كل الأحوال، سأستخدمه على الأرجح كمركز ريفي، وسأمضي معظم وقتي هنا.. وهل تعتقدين أن لديّ خططاً لأصبح رجل أسرة؟

ـ وهل سيكون هذا أمراً مفاجئاً؟ حتى النسر عليه أن يشارك في يوم ما بوكره.. أليس هذا قانون الطبيعة؟

ـ بالتأكيد.. هذا إذا وجد من تناسبه. فالنسور عنيدون عندما يصل الأمر إلى المشاركة في وكرهم وإذا لم يجدوا رفيقة مختارة يفضلون أن يطيروا لوحدهم.

ـ وهل هذا ينطبق على نسور ايطاليا؟ أظن أنه جزء من طبيعتهم أن يرغبوا في ابن يرثهم ويحمل اسمهم.

ـ على الأرجح هذه رغبة كل رجل طبيعي. ولكنني قيدت رغبتي في نوع خاص من النساء... هل فكرتي بهذا؟

مع براد.. تستطيع أن تقول كل ما يجول في رأسها.. وهذا أمر يجب أن تتهرب منه.. ولكن إلى أين؟ لقد اصطادها في مكان مرتفع فوق ذلك العالم الآخر حيث، الساتان، والفضة، والأحجار اللامعة،

تتآلف معاً لتصنع سلاسل ستربطها بشاب اجتماعي مرغوب، قلبه لطيف ولكن عيناه لم تجعلاها أبداً تشعر بالضعف عندما ينظر إليها.

وبدأت العينان الرماديتين اللامعتين تمزّقان القميص الحريري عن جسدها النحيل، ونظرت إليه نظرة ضعيفة.

ـ لا تفعل هذا يا براد، لقد وعدتني أن تكون طيباً...

ـ بالنسبة لي.. أنا الآن قديس.. اجلسي بينما أتصل ليجلبوا لنا الشاي.. هل أنت جائعة؟ لقد حضرت اجتماعاً وفاتني الغداء. وبصراحة أشعر أن عليّ أن أتناول أكثر من صحن الحلوى العادي المقدم مع الشاي.. ما رأيك؟

لم تكن قد تناولت غداءً مناسباً لأنها كانت قلقة على غلوريا. وهناك بالأحرى شعور فارغ في معدتها. وبدا لها أن براد لو انشغل في تناول الأكل فقد ينشغل عن النظر إليها بهاتين العينين المفترستين.

ـ أنا جائعة قليلاً.. ماذا في ذهنك.. بالنسبة للطعام.. أعني!

ـ اراهن أنك في ساتانيتا لم تتناولي أبداً الطعام الايطالي. ولدي رئيس طباخين ماهر، فهل تتركين الطلبات عليّ؟

ـ سأكون مسرورة.

ـ حسناً! اجلسي، وحاولي أن ترتاحي.. وأنت واقفة هكذا تبدين كفراشة تحاول أن تهرب.

وابتعد نحو غرفة الجلوس ثم إلى المدخل بعيداً عن مجال نظرها. ووقفت مايا جامدة لفترة. وبدا لها الصمت وكأنه يتصاعد مع دقات قلبها.. أرادت فقط أن تذهب، لأنها لن تستطيع البقاء إلى الأبد.. وشعرت وكأنها السجين المذنب فغرقت في أحد المقاعد على التراس.

وألقت رأسها الى الخلف، وأغلقت عينيها، وحاولت أن لا تفكر بما سيأتي، حين يكون عليها أن تواجه عرابتها وتقدم تفسيراً مناسباً

لوصولها إلى المنزل متأخرة أكثر مما وعدت.. وشعرت بطعنة في ضميرها عندما فكرت بغلوريا وهي مستلقية تعاني صداعاً نتيجة لانهيار عصبي، سببه القلق على الزفاف، وذلك الاهتمام المحموم بكل تفصيل دقيق.

وأمسكت مايا بذراعي المقعد، وتمنت لو تستطيع الاختباء وأن لا تكون النجمة الجذابة في الزفاف. فكيف ستستطيع مواجهة كل هؤلاء الناس. وتلك الأنوار الساطعة لماكنات التصوير والتي ستضيء وجهها لتكشف الظلال التي تحيط بعينيها؟ وكيف ستقدر أن تبعد ذلك الظل الطويل الأسمر؟ وأقبل ذلك الظل عبر الباب الزجاجي ليقف وينظر اليها.

ـ أظن أن هذه أول مرة منذ ايام تجلسين دون أن تسمعي في اذنيك الاصوات الجهنمية للنساء في حمىّ هستيريا الزفاف. أليس كذلك يا مايا؟

وحركت رأسها بالموافقة، إذ لم يكن هناك مجال للإنكار بأنها تشعر كأنها معلقة بين الزمان والمكان، حيث لا يستطيع أي كان أن يجدها، حيث تستطيع أن تنسى لفترة بأنها ليست حرة لتكون لوحدها... كما هو براد حر، وسيكون دائماً حراً، مثل النسر.

ـ وكأنك تستعدين للسير نحو الإعدام.. هه؟

ـ أوه.. ليس الأمر مخيفاً إلى هذه الدرجة.. ما هذه المخيلة التي عندك يا براد! أنت ترى الأشياء بالأبيض أو الأسود، ألست كذلك؟

ـ ليس بالكامل.. فأنا ايضاً أرى الأشعة الذهبية والفضية... وأظن أنني واياك سوف نتناول شيئاً لنشربه قبل وصول الطعام. شيء خاص أحتفظ به للأصدقاء.

ـ إنها صداقة يجب أن تنتهي بعد ساعة.

ـ عندما لا يعود هناك وقت لأميرة الثلج لفارسها؟

ـ أنا لست أميرة.. وأنت لست بفارس.

ـ ماذا أنا إذاً؟

ونظر مباشرة إلى عينيها، وتذكرت أول لقاء لها معه، وكم اعتقدت أنه شرير خطر. كل شيء كان ممكناً أن يكون صحيحاً حوله، ما عدا الحقيقة المطلقة... إنه بالنسبة لمن يحب، يكون من الكرم بحيث يتركهم يرحلون عنه... والداه في ايطاليا.. شقيقتاه بعيدتان وهو يعيش وحيداً في برجه العاجي..

ـ أنت رجل وحيد.. أراهن أن أمك وابيك يقولان لك دائماً أن تجد فتاة ايطالية لتستقر معها.. أتمنى لو أنك تفعل يا براد.

ـ وهل تتمنين ذلك حقاً؟

ـ إنه أفضل من الوحدة.

ـ إذا ستتشارك في الوحدة.

ومد يده، وسحب يديها عن ذراعي المقعد وأمسكهما.

ـ ألن أكون صديقاً إذاً.. حتى هذا؟ أتحرميني من أن أكون عمّاً لأطفالك الدينغول؟

ـ لا تقل هذا يا براد؟

ـ لن أفعل.. ولكن كلانا سيفعل.. أنت في طريق مسدود يا مايا.. وقطعة قطعة سوف تتمزقين إلى أن لا يعود باقياً منك سوى قلبك الباكي.. أنت لا تحبين الرجل الذي سيمتلك كل قطعة حية فيك.

وأدارت رأسها، غير قادرة أن تلتقي بعينيه. وساد الصمت حولهما مثل ذلك الضباب حول البرج، واستطاعت أن تشعر بأصابعه تشد حول أصابعها، والألم من ضغط خاتم باد على عظام أصبعها. أرادت أن تصرخ برعب للصورة التي أثارها، فهي مخلوقة لأن تكون لرجل واحد فقط... وذلك الرجل ليس باد دينغول...

ـ أنت لا تحبينه، ولكن هذا لا يهم كل هؤلاء الذين يحضّرون للزفاف ويتمنون لك وله الفرح والسعادة.

ـ هذا سيجعل غلوريا سعيدة... أنا مدينة لها... كثيراً.

ـ لتذهب غلوريا إلى الجحيم.!

ـ لا.. كنت سأوضع في دار للأيتام لولاها، والدي كان سكيراً لا أمل فيه.. ولم أكن لأحصل على كل ما قدمته لي... تعليمي، كسائي، اصدقائي... إنه ثمن صغير عليّ أن أدفعه.

ـ ولن تتوقفي عن الدفع. أنت مدركة لهذا كما أعتقد؟

ـ لن تكون حياة سيئة لهذه الدرجة...

ـ وهل ستكون حياة سعيدة؟ يا للسماوات المقدسة، هل ستكون حياة مثيرة ومكافئة.. شيء تريدين أن تستيقظي عليه، فرح سوف تتوقين إليه عندما يهبط الظلام؟

ـ وهل الرغبة هي كل شيء؟

ـ أجل.. إذا التقطها الإنسان في زوج من العيون!

ـ وهل تظن أنني فعلت هذا؟

ـ أنا لا أظن.. يا سيدتي، بل أعرف.

وحدقّت مايا خارج نوافذ التراس، بعد أن تركها ليصب الشراب، وأحست كأن الضباب قد بدأ يضغط أكثر على الزجاج، وبدأت قطرات الماء تنساب عليه مثل الماس، وجعلها المنظر الغامض الكئيب هذا مسلوبة الإرادة، وكأنها هنا مع براد قد جنحت فوق قمة الجبل. اوه.. كم من السهولة أن تتمسك بهذا الحلم الغريب، ولكن كل الأحلام تتبدد أمام الواقع.

وعندما عاد براد قالت:

ـ يبدو أن الضباب يشتد.. أنا.. أنا في الواقع يجب أن أعود بعد قليل... قد ينقلب هذا إلى ضباب كثيف يحجب الرؤية.

ـ سوف أوصلك.. لا تقلقي.. سوف ترين الجحيم والشهامة في عينيّ قبل أن ينقضي النهار.

www.elromancia.com

ونظرت في عينيه، ثاقبتان كـ... الفأس على رقبتها النحيلة. واتكأ براد على جدار التراس، وانعكس وجهه على الزجاج المبلل من الخارج، وبدا أن بخار الماء يتكثف كلما مرت اللحظات. والرؤية تتلاشى. والأصوات من الأسفل تبتعد وأكثر مما مضى كانا وكأنهما قد انفصلا عن بقية العالم.

ـ أنت منعزل جداً هنا.. هل يعطيك هذا شعوراً بالقوة، وكأنك امير في قصرك الخاص، سيد قدرك. الساحر في معقله، يتآمر لحركته التالية في لعبة مختلفة.. بقدرة عالية الكمال؟ هل تنظر إلى لاس بالماس وتشعر بأنك تمتلك روحك الخاصة بك؟

ـ شيء من هذا القبيل.. وماذا عن روحك يا مايا؟ هل هي مغلولة بالقيود؟

ـ لا...

ـ لا يمكنك الإدّعاء معي، وأنت تعرفين ذلك، وتعرفين منذ البداية أننا نتشارك في خصائص أكثر فعالية، أكثر سحراً، أكثر إثارة. هل بإمكانك حقاً أن تنكري لكل هذا لتلتصقي بمجرد صبي.. سينظر اليك كملك خاص له أكثر فائدة وجاذبية. مثل مضرب التنس أو مضارب الغولف وجياد البولو المدربة؟ لقد شاهدتيه يلعب ضدي في ملعب التنس، وجعلته يبدو مضطرباً.. صدقيني.. ليس لديه فكرة عن كيفية التعامل مع امرأة حساسة، إنه يظن الأمر مجرد أخلاق جيدة وتبريرات بيولوجية.

ـ إن لك لساناً حذقاً يا براد، ولكنك لن تجعلني أغير رأيي، ولن تغلبني، ولن تصبح سيدي لن أسمح لك!

ـ وماذا إذا لم تستطيعي المقاومة؟.. هيا.. أنت تعرفين أنني سيدك من اللحظة الأولى التي تلاقت فيها عيوننا.

ـ كم أنت ديك متعجرف واثق من نفسه يا براد!

ورفعت رأسها، وبدأت تلعب لعبتها، لأنها كانت لعبة ولن تكون شيئاً غير هذا.

ـ أنت سيد الكلمة والنساء إضافة إلى أنك ساحر مالي. وأنا أعلم ماذا تحاول أن تفعل.. ولكن هذا لن ينجح.

ـ وماذا أحاول أن أفعل؟

ـ ان تشعل شكوكي، وتزيد من مخاوفي، وتهمس كالشيطان في أذني... توقف عن هذا في الحال يا براد.

ـ وماذا سيحدث إذا لم أفعل؟ هل سأحرم من النعمة الالهية؟

ـ أظن أنك قد تحرم.

ـ في هذه الحالة ستشاهدين ابليس يسقط كالقذيفة من السماء... ما عدا أنني لم أكن هناك أبداً. لقد استرقت النظر عند الأبواب ثم لمعت عينا ملاك ذهبية وأمرني أن أذهب.

ووقف هناك، حرّ من أي سيطرة لأي أحد، سيد نفسه، ثم أصبح صوته خفيفاً.

ـ لماذا لا تتوقفين عن أن تكوني شهيدة؟ وابداي أن تكوني امرأة. امرأة ترغب في رجل.. وليس بصبي يافع لعين..!

ـ ارغب.. وخذ.. واركب الحياة وكأنك القرصان! أنا لست أنت يا براد! أنت ذو قلب وثني! أنت تدفعني لأن انكث بالوعود، وأن أخذل الناس، وأنكر واجباتي التي يجب أن أتممها كي أحافظ على كبريائي. لم يعد لديّ سوى هذا. وهذا ما تبقى لي من حياة والدي التي دمّرها بيده.

ـ كل هذا نبيل يا مايا، ولكنك سوف تتزوجين ضد ارادتك، وليس هناك في الدنيا أشق على المرأة من أن تعطي نفسها بقلب بارد لرجل...

ـ انا.. انا لن أستمع اليك! سأذهب.. الآن...

- لن تذهبي إلى أي مكان.. الهروب ثانية من الحقيقة المرة.. مايا، لن تستطيعي أن تتخلي عن الحب.. انه أمر رهيب وسوف تبقين مثل شجرة الزيتون بين الصخور.

- ولكنها لن تطرح الثمار..

- ولكنها ستحمل الذكريات يا مايا بين أوراقها الفضية المرتجفة. لا أنت، ولا أنا، ولا باد دينغول، يستطيع منع نموها، سوف تكونين مذهولة كيف تستطيع الذكريات أن تنمو مع السنين، وخاصة في قلب امرأة تنكر حقيقة نفسها، قدرها الحقيقي، وتجعل من نفسها لعبة اجتماعية ميكانيكية. تستفيق عند الصباح على القهوة المرّة، وتستعيد قوتها عند منتصف الصباح بقليل من المشروب، وتدهن نفسها بالمساحيق عند العشاء او على حفلة لعب الورق، أو حفلة راقصة في النادي.

كان يتكلم بعنف يسيطر عليه بقوة، ولكن عيناه هي التي كانت ترعب مايا. لقد أصبحتا كالفضة الذائبة في وجهه الأسمر وبؤبؤهما فيهما لهيب غريب.. لهيب الحب! وقال تلك الكلمة أخيراً.. واخترقتها الكلمة وكأنها شوكة، مثبتة نفسها في قلبها، متسببة بألم شخصي حاد.. فهي لا تجروء أن تحبه... إلا في أعماقها، في الزوايا السرية في جسدها وفكرها. ولم يبق لها سوى فرحة أنه يحبها.. فرح حلو ومر لا تستطيع أبداً أن تكشف عنه.

كان عليها أن تجد ما في نفسها لترمي الماء البارد على حماسته، وتراقب اللهب ينطفىء فجأة في عينيه الملتهبتين. هاتين العينين اللتين تظهران لها أن الحب قد يكون رغبة لا مجال فيها لمرور العواطف بين الاصدقاء.. هذا ما يجب أن تضحي به لمصلحة شعلة خاصة لا تضيء أي لهيب في دمها. يجب أن تطفىء هذا بينما كل شيء خاص فيها يتوق لأن يذوب في دفء براد القوي والمتقد، والذي يعرضه

عليها.. نشوة مشاعر لن تستطيع بعدها العودة إلى طهارتها التي تتمسك بها أكثر من أي شيء. طيران مع نسر ليس لها. واستجمعت قواها تحضيراً للمواجهة بين الحب والواجب.

☆ ☆ ☆

www.elromancia.com

٦ ـ بعد أن أحبّت

«ما أختار أن أفعله في حياتي لا علاقة لك به أبداً.. لقد أتيت إلى هنا لأنني لم أحب أن أرفض طلبك، ولكن إذا كنت ستصخب وتهذي فسأفضل أن أعود إلى المنزل».

ووقفت على قدميها وهي تتكلم، وتجاوزته. ومد يده وأمسك بمعصمها، فأفلت الكأس الجميل من يدها، ووقع على أرضية التراس وتحطم، وانتشر كقطع الماس. وحّدق به براد لحظة ثم أفلت كأسه متعمداً، قائلاً:

ـ هذه هي الطريقة التقليدية لإنهاء خلاف.

ـ أوه، يا للأسف، إنها خسارة.

ـ خسارة رمزية يا عزيزتي... هيا بنا نأكل.

ولف ذراعه على خصرها، وجرها عبر الغرفة الرئيسية إلى غرفة الطعام، حيث أُعدت الطاولة لشخصين، والزهور الرائعة في وسطها.

ـ ابقي معي، كل شيء أصبح جاهزاً.

وعندما شاهدت مايا ساقياً يقف إلى جانب المائدة، لم تعد تعارض وجلست على الكرسي الذي قدّمه براد لها، وانحنى لها الساقي، ووضع منديلاً على ركبتيها، وتابع تقديم أول دورة من الطعام. وقال له براد:

- سأتدبر أمر الباقي يا سالفادور، اشكر رئيس الطهاة عني.. واذهب لترتاح.

- أجل يا سيدي.. شكراً.

وأغلق الباب وراءه، وحدّق براد عبر الطاولة من فوق الزهور إلى مايا، وأصابعه الطويلة تقسم قطعة الخبز.

- هذه عزلة «الغداء الأخير» هه؟

- ألن تمثل دور «بوضاس» وتخونني لأنني وثقت بك؟

- أنا لست بحاجة إلى الثلاثين قطعة من الفضة، ولكنني مستعد لأن أبيع روحي لـ... لا يهم.. هل تحبين القريدس؟

- إنه رائع.. عمالك إما يخافون منك أو أنهم مخلصون، كي يحضروا مثل هذه الوجبة من الطعام، بعد صباح متعب من خدمة المطعم..

- وماذا تظنين.. الخوف أم الإخلاص؟

- إنه مزيج من الاثنين.. وأعتقد أن كل أعمالك مبنية على هذين العاملين.

- أنت تجعليني أبدو كالإقطاعي.

- ألست هكذا؟

- ربما.. من وجهة نظري إنني أهتم بمن هم لي، وأقدم لهم أفضل خدمة أقدر عليها. عليّ أن أجعل اسم دونللي محترماً وأهل للثقة، وسأحارب عرّابتك بأسناني وأظافري إذا تجرأت على أن تنبش ما دفنته بنجاح. وكما قلت لك من قبل، الانتقام في دمي وغلوريا

آرثر ستتعلم كيف ستبكي لو أنها فعلت أي شيء قد يغيظني.

- لا تفعل هذا يا براد!.. عندما تبدو نظرتك هكذا تجعل قلبي يتجمد خوفاً. ألا يكفيك أنك اشتريت «ادامز تشالنج»؟

- عرّابتك لا تملك هذه الأرض المختارة من كاليفورنيا حيث تقيم. لا أحد منا يملك أي شيء، فنحن بنعمة الله، قد أعطينا فرصة لنجعل من حياتنا مرضية لنا، وفي النهاية لن نأخذ معنا سوى أرواحنا والحب المحتمل لإنسان آخر... أنا لست قديساً، ولكن وحق السماء، ستدفع تلك المرأة كالشيطان لو... آه... لننسى أمرها الآن!

ووقف وهو يتكلم، وجمع الأطباق الفارغة، وأخذها إلى طاولة جانبية. وبينما هو يقدم ثاني دورة من الطعام، تجولت مايا بنظرها في غرفة الطعام. فقال لها:

- إنها ملفتة للنظر، أليست كذلك؟

- هل أنت مولع بالأشياء الكلاسيكية؟

- بالضبط... هيا.. تناولي طعامك قبل أن يبرد.

وأخذت مايا ملء شوكتها من الجبنة الساخنة والمعكرونة، مع صلصة البندورة، والتوابل والقريدس. وكانت لذيذة ومن الواضح أنها من صنع طباخ ايطالي حقيقي.

- أنتم لا تتناولون مثل هذا في ساتانيتا.. هه؟ إن هذا الطعام يبدو أفضل عندما يقدم على ساحل «الأدرياتيك» حيث الشمس فوق المياه، والأصوات الإيطالية تملأ الجو، إن متعة الحياة والحب، شيء ثمين جداً عند شعبي.

- اخبرني عن ايطاليا.

قالت هذا وهي تشعر أنه سيكون موضوعاً أكثر أماناً من أي موضوع آخر... فكل قنوات الحديث ستقود إلى أشياء خطيرة. فقد جعلها مدركة لمشاعرها كما لم يفعل أي إنسان من قبل... وجعل من كل

لحظة برفقته، حلماً صغيراً مستقلاً بنفسه.

ـ ألم تذهبي إلى هناك أبداً يا مايا؟

ـ سأذهب...

وتوقفت لتمسح طرف فمها.. لقد حدث هذا من جديد، ودون إنذار عادا إلى الحديث الخطر.

ـ في شهر عسلك.. هه؟ أتوقع أن يريك العريس كل الأمكنة الفاخرة المسجلة في دليل السائح، وستعودين إلى أميركا وأنت مؤمنة أنك شاهدت ايطاليا.

ـ لا حاجة بك لأن تكون ساخراً يا براد.

ـ إنه أمر يسليني، كيف أن الاميركيين يقومون بالتفرج على بلاد غريبة. طالما أن الأماكن المعروفة قد تمت مشاهدتها بسرعة، لا يهم هؤلاء أن يروا القرى الجبلية، حيث الكثير من الطرق القديمة في الحياة لا تزال سارية ولم تفقد بعد سحرها الغريب. هل ستزورين فينيسيا... المدينة الرائعة للمحبين؟

ـ هذا سيعود أمره لباد.

ـ فهمت.. إذاً أنت تنوين لعب دور العروس المطيعة، تتبعين خطوات زوجك؟

ـ أليس هذا تصورك لما يجب أن تكون عليه الزوجة؟

كان قد وضع شعلة على غضبها... كما من المحتمل أن يقصد، وعندما التقت عينا مايا بعينيه وجدتهما فرحتين.. ومع ذلك فيهما ظلال خفيفة.. أم أن هذا فقط هو شكل العيون الإيطالية، وقد حجبهما برموشه الكثيفة؟

ـ الإيطالي يختار زوجة ويأمل ان تكون مخلصة له وحده كانثى النمر تماماً. والنمر ليس مخلوقاً قابلاً للتدجين، يا مايا، وهما يقاتلان معاً، ويا إلهي كم يحبان بعضهما!

وحدّقت مايا بعينيه، ورأت فيهما لهيباً مخيفاً، كان يتوقد ثم يخبو، ورأت وجهه يتقلص وكأنه متألم.

ـ أوه يا براد، لو كنت تهتم، أرجوك لا تجعل الأمور صعبة عليّ...

ـ إذاً أنت تعترفين أن الأمور لن تكون سهلة؟

ـ وهل هناك شيء سهل في هذه الحياة؟ أتمنى لو أنني لم أقابلك! لماذا.. لماذا أتيت لتتحدث معي؟

ـ إنه قانون الغابة يا مايا.. لقد رأيت من يشابهني، ندٍ لي، وكان عليّ أن أتحدث معك، وكنت أرغب في المزيد، من كل شيء ولكنك مستقيمة، ولا أريد أن أكسر هذه الروح فيك.. أنت أصيلة، ولا يستطيع أحد أن يستخدم السوط معك.

وجلست صامتة، وهي تحرك الشوكة في صحنها. كانت تحبه، كما لم تحب أحداً من قبل. لا بسبب ما يظنه بها، ولكن لأنه لم يمد يده إليها وحافظ على سيطرته على المشاعر التي تبدو في عينيه.

ـ إنها لسخرية، أليست هكذا؟ أن يقع إيطالي بحب فتاة من أصل، ودين، وطبقة مختلفين، سوف يُصدم والداي، وشقيقتاي ستسخران مني، وكاهني سينصحني بالحذر، ولكنني سأتخلى عنهم جميعاً لو استطعت أن أحصل عليك دون أن أؤلمك. لم أشعر هكذا من قبل... أحمي امرأة وأرغب فيها في نفس الوقت. كان يجب أن يحدث لي هذا وأنا شاب، حب المراهقة قد يكون مؤلماً، ولكنه ليس غير قابل للشفاء.

لم تكن مايا ترغب في أن تؤثر فيها كلماته، ولكنها أثّرت، فتوترت بشرتها وارتجفت. لم يكن لأحد ذلك السحر الغريب عليها كما لبراد، ومع ذلك عليها أن تنكره، وتبتعد... أنها مدينة كثيراً لغلوريا، وبراد قوي بما فيه الكفاية لينساها ويجد من تحل مكانها.

ـ سيكون والداك على حق بأن يصدما.. وأنت تحب وتعجب بشعبك... وما تشعر به لا يمكن أن يكون. إنها مسرحية قصيرة، يا براد. عدة قطع من الموسيقى عزفت في الهواء. لنترك الأمر كما هو، دون ندم.

ـ لا تكوني واثقة هكذا بخصوص الندم.. أنت معي هنا الآن، ولن يكون سهلاً عليّ أن أتركك تذهبين...

ـ ولكنك ستتركني أذهب؟

ـ لا أستطيع أن أكون واثقاً... هناك شيطان يسكنني.

ـ ولكنك مسيطر عليه.

ـ حتى هذه اللحظة يا مايا... ولكن ماذا سيحدث عندما أضطر لفتح بابي لأدعك تخرجين من حياتي؟

والتقت عيناه بعينيها، وفيهما جاذبية خطيرة، وأضاف:

ـ هل تتناولين بعض الحلوى؟

ـ الحلوى؟

ـ إنه نوع خاص يدعى «كاساتا» من الآيس كريم وقطع الفواكه المغموسة بالكريما...

ـ تبدو لذيذة يا براد...

واخذ ينظر إليها، يحرك عينيه ببطء على وجهها، وشعرها، وعلى الأقراط الجميلة في أذنيها، على رقبتها الرقيقة الطويلة.

ـ بالنسبة لي هذا الوصف ينطبق عليك...

ـ براد.. إنك تحنث بالوعد الذي قطعته لي!

ـ أنا لم المسك، أنا أنظر إليك فقط.

ـ نظرة منك.. تكفي، وأنت تعرف هذا!

ـ أنت.. ترتجفين.. هه يا مايا.. لماذا تنكرين عليّ، على نفسك، أنت تريدينني أن المسك بأكثر من عينيّ؟ أنت تتألمين أكثر

مني.. وبحق كل القديسين.. أنا لست من النوع الشهيد، حتى ولو كنت أنت هكذا!

ودفع كرسيه إلى الخلف، لتسقط وترتطم بالأرض. وبخطوتين كان إلى جانبها، وأمسك بها، حرارة يديه تحرق عبر القماش الحريري لقميصها... وأحست بهمسة حنجرته وحرارة ذراعيه.. وشعرت بشعلة تنطلق في دمها، وتجاوبها معه، كان كارتجاف مصباح يحترق ليضيء بنور ثابت ومستمر.

وللحظة واحدة قاومته، ثم لتكون قريبة جداً من الاستسلام كان أمراً كثيراً عليها، ولكنها تركت لقلبها ولعظامها أن تمتلىء بحبه. وتعلقا ببعضهما كائنين على متن سفينة تغرق... وكأنهما حيبان يودعان بعضهما قبل أن يقفزا من بناء يحترق. كان الأمر بالنسبة لهما صحيحاً. فلم يكن لهما شيء غير هذه اللحظات.

ـ اتركيني أحبك...

ـ لا... لا.. أوه يا براد... لن تكون لديّ القوة، ولا الإرادة على أن أذهب... ولكن عليّ أن أتركك.

واستدارت، ثم هربت إلى غرفة الجلوس، حيث أصبحت ساقاها ضعيفتان حتىٰ أنها رمت نفسها على أقرب أريكة، تدفن وجهها بين يديها.. وارتجفت كتفاها عندما لمسهما، وسرت الرجفة إلى لحمها وعظامها، جزء منها أراد أن يصل إلى يده ويجذبها إلى داخل قلبها... القلب الذي منحته للنمر في الجسد الذي يجب أن تمنعه عنه. لو أنه أخذ جسدها فسيأخذ كل شيء... ولكن عليها دين من الكبرياء والشرف يجب أن تفي به.

ـ هذا يؤلمني وكأنه الجحيم... أنت لي.. ولن أتخلى عنك! ولماذا أفعل؟ إن لديّ الحق بما يتعلق بي، يحترق لاجلي، كما احترق انا.. أنتِ كالثلج... كالثلج المتجمد تجاه أي رجل آخر.

وأنت تعرفين هذا!

- أرجوك خذني إلى منزلي... لا أستطيع تحمل المزيد.

- منزلك هو حيث أنا..

ولفّ يده حول رقبتها، وأجبرها أن ترفع رأسها لتنظر اليه... ونقلت عيناه إلى عينيها نوعاً من التوهج المختلط من الحب والرغبة... من العبادة والرغبة التي لن ترى مثلها بعد هذه اللحظات... براد.. تحبُه للمرة الأولى حين تحب... وللمرة الأخيرة بعد أن أحبت.

- ارحمني قليلاً... يا حبيبي... لقد قلت عني إنني مستقيمة، قلت إن لي جو من الطهارة المعينة... فإذا كانت هذه الصفات هي التي أثرت عليك وجعلتك تهتم بي، إذاً.. لا تطلب مني أن أخضعها وأن أوّثها.

- ولماذا أهتم بها، إذا حصلت عليك؟

- ستحصل على الجسد... ولكن هل ستحصل على الروح؟ هل ستحصل عليها فيما لو أرغمتني... أرغمتني على إعطائك نفسي؟

- سيكون هذا شيء أحصل عليه على الأقل، فعلى ماذا سأحصل لو تركتك تذهبين من هنا.. إليه.. ولا شيء لي؟ لدي مشاعري يا مايا.. وأنا لست آلة لعينة!

- وانا لديّ مشاعر ايضاً... الا تظن أن لديّ؟

وامتلأت عيناها فجأة بالدموع، وتاقت بكل جزء منها أن تمد يديها الى وجهه النحيل المليء بالحب... أرادت أن تقبّل عينيه وتذيب نفسها في جسده... ولكن ماذا عن الذنبّ الذي ستشعر به فيما بعد، والخوف مما قد تفعل به غلوريا. إن لها اصدقاء في مراكز عالية، وماضي براد كحفيد للمجرم الشرير قد ينبعث من جديد والحياة اللامعة التي صنعها لنفسه في أميركا قد تتدمر... وهذه أمور قد

تحدث بكل سهولة.. ومايا تعلم أن عرّابتها امرأة لا رحمة عندها... أكثر بكثير مما قد يكون عليه براد.

- أما كان يجب أن تكوني امرأة أقل شأناً؟ ولماذا عليك أن تكوني ملاكاً؟ أنا لم أرغب أبداً في ملاك... كل ما أرغب به زوجة تشاركني الأشياء التي عملت جاهداً لها.

- ستجد واحدة يا براد... وستصنع لنفسك حياة سعيدة... أطفال و...

وتوقفت عن الكلام، غير قادرة على أن تكبح آهة صعدت من أعماقها.

- أنا أريد الأطفال منك.. أن يولدوا من جسدك وقلبك. ولن أقبل بغيرهم.. أقسم على ذلك! لن يكون لي ابن او ابنة ما لم تعطيني أنت اياهم... ألم تفهمي بعد؟ أنا احبك... بكل ما في الكلمة من معنى، بعظامي، بجسدي، بعقلي... وإذا لم أحصل عليك.. فلن أحصل على شيء ولا على أحد! هكذا انا يا مايا... إما كل شيء... أو لا شيء.

ولم يكن هناك أي شك بما يقول. وجهه تجعد من الألم، وأصبحت عيناه قاتمتان. بدا كرجل يتعذب، في بحر من الوجد والألم المبرح... وكان هذا مخيفاً لمايا.. أن تراه هكذا.. هو من كان كالنسر الوحيد يطير بكبرياء وثقة بالنفس، سيد لنفسه.

وها هو الآن عبد لما يشعر به نحوها، وكل خلجة في جسد مايا أرادت ان تتجاوب معه، في شفقة، وعاطفة، في الحب والرغبة.

- أنا.. أنا آسفة جداً يا براد.

كان هذا كل ما استطاعت أن تقول، وعرفت كم بدت هذه الكلمات غير مناسبة، لانها لم تكن قادرة على أن تتحدث عالياً بما تشعر به في قلبها. لم تكن تجرؤ على كشف عمق وعذاب ما

www.elromancia.com

تعانيه... لم تكن قد شعرت بمثل هذا الألم الشخصي من قبل.. عميق هكذا من منابع كيانها كامرأة. إنها متشوقة لأن تبقى قريبة من هذا الرجل ولا تعرف أبداً معنى الشعور بالفراق عنه، ولكن.. أقوى من رغبتها كانت الحاجة إلى إبقائه سالماً من أي نوع من الانتقام. ولأنه يحبها، فهو لا يستحق أن تدمر حياته.. ولم تكن لتتحمل مجرد التفكير بهذا. لقد عمل طويلاً وبجهد، ودفن الماضي، ويجب أن يبقى مدفوناً... وإذا كان هذا ما تستطيع أن تعطيه له، فستعطيه بكلتا يديها ومن كل قلبها.

ـ ألا يقولون في إيطاليا «كي سيرا سيرا» ما هو مقدّر ليحدث.. سيحدث؟ لقد كنت تعلم عندما تحدثت معي أول مرة أنني لست.. حرة.

ـ كنت أعرف بخطبتك... ولكن عندما تحدثنا معاً عرفت أنك لا تحبين الرجل الذي تلبسين خاتمه. لقد نظرت في عينيك، ووجدت الوحدة التي يجب على الحب المشترك ان يمحيها من حياتك.. ولتكوني واقعة في الحب، فلن تكوني إذاً وحيدة، حتى ولو كنت بعيدة عن الشخص الذي تحبينه، ويريدك، ويحتاج إليك.. ولهذا تقدمت منك، وتكلمت معك. لقد كنت متشوقاً لأعرف إذا كنتِ تحملين في عينيك النور الذي لا يمكن إلا أن يرى الحب، ولكن بدلاً منه رأيت الجمال الذهبي البارد في نظرتك وعلمت بأنك سيُضحى بك على مذبح الزواج الاجتماعي المرغوب. ولن تعرفي أبداً مقدار قوة اندفاعي لأحملك بعيداً معي. بعيداً عن أناس يعتبرون أنفسهم نخبة الحياة المدنية، ومع ذلك يعيشون على قوانين المجتمع الروماني القديم، قانون اليونان الغارق في القدم حيث كانت الشابات والجميلات إما أن يُفرض عليهن الرهبنة العذرية أو يتزوجن من عائلات ثرية على الرغم من رغباتهن.

وخفت صوته وقد ركع إلى جانب الأريكة حيث تجلس.

ـ آه يا مايا.

ومد يده ليمسك بيدها، وكانت تعرف أنها قطعة من الثلج بين يديه الدافئتين.. القويتين... المليئتين بالحياة. ونظرت إليه، وفي النور الغريب الذي يدخل الغرفة من النوافذ، بدا لها وجهه مثل وجوه الفرسان في القرون الوسطى... والفروسية في نفسه التي يجب عليها أن تخاطبها.

ـ إذا كنت حقاً تهتم بي يا براد، إذاً يجب ان تكون متفهماً لما يجب عليّ أن أفعل.. إنه صليب آلامي.. ولا أريدك أن تتحدث عن وحدتك.. فأنا لا أتحمل هذا، فأنت لم تخلق لأن تكون وحيداً.

ـ لا.. أنا لا أملك مزايا الراهب.. ولكن الطبيعة جعلتني كثير الدقة في الاختيار.. ولا أظن أن بمقدوري أبداً أن اجد فتاة هي تماماً «كالكاساتا» مزيج لذيذ من البارد والساخن. ملفوفة ببشرة من الكريما الصافية.. يا إلهي لا أستطيع أن أكون قربك ولا... لا....

وقفز واقفاً نابضاً بالحياة كحيوان خطر على حافة الهجوم ووقف جامداً، يحدق بتوتر إلى النوافذ المبللة بالضباب، وقد اختفت كل الأصوات، وبدا وكأن خيمة من اللهب تنتشر خلف الضباب وتمتم...

ـ الشمس تغيب، والمدينة غارقة ببخار الماء. يجب أن تأكلي «الكاساتا» معي.. ثم سآخذك إلى منزلك.. إذا كان هذا ما تريدين أن أفعله؟

ولم تجرؤ مايا أن تفكر بما تريده حقاً.. مجرد النظر إليه سيشعرها بسلطة الإثارة والقدر...

ـ أنا.. أنا لا اظن أنني استطيع أن آكل شيئاً بعد...

ـ حاولي.. دعيني أدّعي لمرة واحدة أنني شاركتك في حلوى

إيطالية حقيقية على شاطىء منعزل، حيث ستستلقين بعدها بين ذراعيّ دون أن تستخدمي الجودو ضدي...

وضحك ضحكة خفيفة واتجه إلى غرفة الطعام.. ونهضت مايا بسرعة وتناولت حقيبة يدها والعلبة التي تحتوي على حذاء الزفاف، واتجهت نحو الباب الذي يقود إلى الردهة. قلبها كان يضرب بشدة. يجب أن تصل إلى المصعد قبل أن يحسّ بها براد، وعندما تصل إلى الأسفل ستأخذ تاكسياً وتذهب... دون أن تنظر إلى الخلف حتى لا تتألم وتبكي.

كانت في منتصف الطريق عبر الردهة عندما دق جرس الهاتف. الصوت المفاجيء جعل أعصابها تقفز، ووقعت العلبة من يدها. وبذعر محموم التقطت العلبة وركضت نحو المصعد..

وصرخ من ورائها، وقد سمع الهاتف وأقبل مسرعاً للرد عليه:

- لا... مايا.. أرجوك!

كان أمراً.. ورجاءاً مؤلماً.. وقفت هناك وكأنها شخص يتأرجح عند حافة هوة سوداء... الزر الذي سيجيء بالمصعد إليها كان على مدى يدها.. وكان عليها أن تجبر نفسها على ان تلمس ذلك الزر، بقوة كافية لتأتي بالمصعد.

وسمعت براد يتحدث في الهاتف.. ولا زال قلبها يخفق وكأنها كانت تركض، ووضعت يدها على حنجرتها، وأخذت تصلي لتعود إليها الحياة قبل أن ينهي حديثه.

- لن تذهبي... ليس الآن!

كان يسير مسرعاً نحوها، واستدارت لتواجه وجهاً تحول الى حجر، عيناه كانتا تحتويان على شعلة مخيفة. وتراجعت مايا عنه، وسمعت صوت باب المصعد يفتح من خلفها في اللحظة التي أمسك بها براد بخشونة.

- ستبقين معي.. لا شيء.. ولا أي إنسان.. يستطيع الآن أن يفعل شيئاً ضد هذا. أنا أطالب بما هو لي!

- براد، يجب أن تتركني أذهب! أرجوك، لا تسبب لي فضيحة!

وقاومته، ولكنه بقوة متعجرفة، حملها بين ذراعيه عائداً بها إلى الداخل. ذراعاه كانتا كالفولاذ من حولها، وحملها بقوة لم تستطع مقاومتها...

- براد.. من كان يتكلم على الهاتف؟

- إنه رئيس فرقة الإطفاء في باسادينا... «ادامز تشالنج» أُحرق حتى الأرض وقبضوا على الفاعل فيما بعد فوراً.. وكان ولد دُفع له لإشعال النار في أملاكي.. والبوليس لا يتساهل مع مشعلي النار واستطاعوا أن ينتزعوا منه اسم الشخص الذي دفع له.

وتوقف براد، وشاهدت مايا الغضب على شفتيه.. وضمها قريباً منه، وشعرت بضربات قلبه القوية عليها، وتابع:

- يبدو أن عرّابتك اتصلت بمحل صنع الأحذية لتسأل عنك، وقالوا لها إنك أتيتي وكنتِ برفقة سنيور دونللي.. وهذا قول يكفي.. هه؟ واتصلت غلوريا آرثر ثانية من فراش مرضها، وفي وقت قصير بعد ذلك كان منزلي قد أصبح ناراً متقدة، وفيه علب الدهان وسوائل التنظيف.. والشكر لله بأن العمال كانوا قد تركوا العمل!

لا.. أرادت مايا أن تنكر هذا الادعاء بأن غلوريا تورطت في عمل إجرامي كهذا.. وبللت شفتيها الجافتين، ولكن الكلمات لم تخرج. وفي عيني أفكارها، رأت اللهيب يرتفع في سماء الليل، وسمعت صوت وقوع الأخشاب المحترقة، ورأت لوحة صورة ابنة بنروز تقع من على الجدار إلى اللهيب الجشع.. لقد ذهب معه حلم براد بتحويل ذلك المنزل القديم إلى منزل حقيقي...

أوه.. يا الله.. لم يكن في مقدورها أن تصدق بأن غلوريا يمكن

www.elromancia.com

أن تدبّر مثل هذا الانتقام، على الأقل ليس في وقت تركتها فيه على فراش المرض. وبعد أن وعدتها بأن تعود حال أن ينتهي قياس ثوب العرس!

ـ أنت لن تعودي إلى تلك المرأة! ستبقين هنا معي.. حيث تنتمين. لقد رأيت الآن كم ستتطرف لتحصل على ما تريد. لقد أعطتك بيد، وبالأخرى سجلت عليك ديونك، لتدفعي ثمن كل معروف صغير قدمته لك... لقد أدخلت هذا في رأسك إلى أن لم تعودي تدرين ما إذا كنتِ تعيشين لها حياتها.. أم تعيشين حياتك لنفسك... والآن.. الآن قد حررتك بيديها الأنانيتين... والآن سوف تعيشين حياتك الخاصة.. معي!

وسمعته مايا وكأنها في حلم، ورأسها ملقىً على كتفه... هل من الممكن لها أن تفعل ما يقول لها، وأن تتحرر من قيودها، وأن تبقى معه بحب وشرف؟

ـ لا... يجب أن أتحدث معها.. يجب أن أسمع ما ستقول... لا أستطيع.. سوى أن أعود إلى هناك... ألا ترى هذا؟

ـ أرى فقط وجهك الشاحب، وعينيك الواسعتين... وأعرف فقط أنني أريد أن احميك منها.

وأنزل مايا إلى الاريكة، وجلس قربها، ممسكاً بيديها، ليعيد اليهما بعض الدفء.

ـ أوه يا براد.. ماذا يمكن أن يكون قد أغراها لأن تفعل مثل هذا؟

وتعلقت عيناها به، ولم تستطع سوى التفكير بأن أعمق مخاوفها قد تحققت. وبسببها أصبح براد في خطر، ولأنها هنا معه احترق منزله...

ـ ما أغراها أنني أحبك.. ولأنك تحبيني.. هناك أناس لم يعرفوا

الحب من قبل... وهي واحدة منهم... وأظن أنها صممت رأيها منذ زمن بعيد أن تستخدمك لتنتقم من موريس كولين لأنه أدار ظهره لها وأغرق نفسه في البحر... اخبريني الآن يا مايا.. هل ستبادلين ما أقدمه لك بما أعطتك إياه بقلب امرأة بارد ومحاسب صمم على أن يراك تعسة في زواجك كما كانت هي تعسة في زواجها؟ زوجها مات ميتة غريبة... هل وقع أم دُفع؟

وجلست مايا، وبدأت تستوعب كلماته.. الرعب فيها، والحقيقة المرعبة المحتملة، فتمتمت:

ـ ماذا سيحدث الآن يا براد؟ هل سيكون هناك... متاعب؟

ـ أجل.. لا يمكن تجنب هذا، فالفتى قد أُلقي القبض عليه، كما يحصل لأمثاله عادة، إذ لا يستطيعون مقاومة انبهارهم بالنار التي يشعلونها.

ـ أوه... وماذا عليّ أن أفعل... لقد كبرت في منزلها... وعاملتني كابنتها... ثم، بادا! لا يستأهل أن يؤذى من جراء كل هذا.

ـ وهل أستحق أنا يا مايا؟

وحدقت به، وبدا في عينيها وميض من الحنان والحب:

ـ لا... ليس أنت.. ليس أنت... ولكن يجب أن أنهي الأمر بصدق وشرف.. براد، يجب أن أراهما.. كليهما.. لا أستطيع أن أتركهما وأذهب هكذا.

ـ أنت تتبعين الطريق المستقيم دائماً.. أليس كذلك يا حبيبتي؟ لا بد لي أن أكون كريم الأخلاق كما أعتقد، إذا كان لي أن أحصل اخيراً على حلمي ليصبح حقيقة على شكل مايا. أحبك من كل قلبي، يا أعز الناس... أحب شعورك بالكبرياء والشرف.. أحب عينيك، وأحب أن أحس بيدك في يدي. سأكون رجلاً يبرز حبه لك

حتى ينسى والداي أن يعترضا، ويأخذانك إلى قلبيهما.. أتساءل هل ستحبين العيش معي في ايطاليا؟

ـ معك يا عزيزي براد؟ بعيداً جداً عن كل ما بنيته؟ برج الشمس.. مثلاً؟ وهل سترغب في هذا؟

ـ معك يا مايا.. أي مكان في العالم سيكون لي الجنة، وما هو برج الشمس بالمقارنة مع برج الحب؟ سنذهب لنواجه التنين معاً..

ولكن.. لم يكن مقدراً لمايا أن تواجه عرّابتها ثانية... فبعد المسافة الطويلة التي قطعاها عبر الضباب الكثيف، وصلا الى ساتانيتا ليجدا غلوريا في غيبوبة... فهي لم تستيقظ من آخر نوم لها.. وقد خدرت نفسها بدواء خاص، ولكنها تركت رسالة لمايا تقول فيها بكل بساطة:

«لا أستطيع تحمّل أن يأخذ مني أي رجل ابنة موريس.. باد لن يفعل هذا... ولكن برناردو دونللي سيمتلكك بالكامل... لقد نوى هذا منذ ذلك الصباح الذي دخل فيه حديقتي على صهوة جواده. مثل الملاك الأسود.. لقد كرهته حتى وأنا أراقبك وأنت تحبينه.. أتمنى لو أنه كان في «ادامز تشالنج» عندما اشتعلت فيه النيران.. أحب أن أراه يحترق في جهنم، ولكنه بدلاً عن ذلك سيكون معك.. فالحب هو الجنة.. كما أعتقد».

وقرأ براد الرسالة دون أن يقول شيئاً، ثم وضعها على الطاولة.. وسارا دون ارادة منهما إلى الحديقة، حيث كان الضباب يختفي ليكشف عن أشكال الأشجار. ولا يزال أمامهما إيصال الخبر إلى باد، ولكن مع براد، وذراعه القوية من حولها كانت مايا تعلم أنها تستطيع مواجهة العالم... ورفعت رأسها لتنظر إليه... أجل.. لقد كانت تعرف أن خيوط حياتها في النهاية ستُحاك مع خيوط حياته، لينتج عن هذا تصميم كانت ستجده عرّابتها كارثةً... لقد كان مقدراً للأمور أن

تحدث هكذا... ولأن مايا كريمة الأصل.. ستبقى تتذكر الأيام الجميلة التي قضتها في ساتانيتا... وبالتدريج ستنسى آخر لحظات حزينة من حياتها هنا...

اليوم ستعود مع براد إلى برج الشمس، لتبقى هناك كضيفة إلى أن يحصلا على الترخيص ويذهبا بهدوء ليصبحا رجلاً وزوجته...

وهكذا سيكون.. ووقفت هناك، منطوية بين ذراعيه والشمس ترتفع فوق قمم الأشجار، والنهار يلتمع أكثر، والظلال المظلمة تتراجع... وتنفست مايا تنفساً عميقاً، وشعرت بذراعيّ براد تشتدان عليها، وتمتم لها:

ـ الزمن سيتكفل بالذكريات... وسأتكفل بهذا.. يا حبيبتي... صدّقيني...

ـ أنا أصدقك.. بكل ما في الكلمة من معنى.

واستدارت اليه، وهي تعلم أن حاجته لها قوية كحاجتها إليه... وسيكون هذا الحب رائعاً، مع مضي العديد والعديد من الأيام إلى ما لا نهاية.

ـ أوه... براد!

وضاع صوتها في دفء صدره... وكل الشكوك تبخرت بينما كانت الشمس تسطع لتصبح كرة ذهبية...

النهاية